رحلة الأقدار

أحمد عبد الوهاب



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

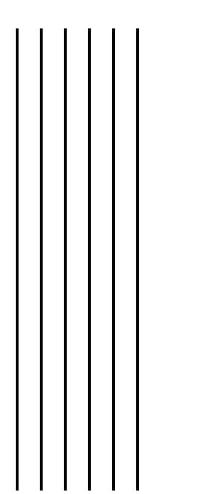
اسم الكتاب : رحلة الأقدار

المؤلف : أحمد عبد الوهاب

رقم الإيداع :

الطبعة الأولى 2013





الفصل الأول
رحلة الأقدار

رحلة

الأقدار

مقدمة

«القدرية» من خصائص رؤيتنا منذ أقدم العصور وهي لا تعني الاستسلام للمصير استسلامًا سلبيا خانعًا وفقا للتفسير الضيق بل في كثير من الأحيان تكون شجاعة العمل والصبر والكفاح بل والمغامرة وركوب المخاطر تقع كلها داخل القدرية، ومن أهم عناصر الإيمان بالقدر وبالقضاء المحتوم كما يقول المثل «المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين»، ولا يوجد تناقض بين العمل في الحياة بشتى صورها وبين «الأقدار» وما يعبر عنه البعض هو فقط تناقضًا ظاهريًا وهناك مواقف فلسفية تعرف مثل هذا التناقض بين اليأس الكوني وبين حرية الإنسان في تخطيط مصيره، بين القلق الوجودي وبين الاختيار.

و«الأقدار» لا يعلمها إلا خالق الأكوان فنحن نعمل في ظل ما نعلم وإدراكنا لا يستطيع كشف الحجب ومعرفة ما هو قادم إلا في بعض العلامات التي قد يكسو بها الله سبحانه وتعالى أحد عبادة لتدل على ما ينتظره، فيراها بعض أصحاب العلم وممن لديهم «حس» قد يصدق وقد لا يصدق ، كأن نرى طفلا نجيبًا وذكيًا وننظر في عينيه ونقول إن له مستقبل قياسا على الواقع الذي نراه وقد يختلف الأمر تمامًا وفي نفس الوقت قد يظهر فى مجال معين شخص لم يكن أحد يتوقع نبوغه وفي بعض الأحيان تحدث أشياء للإنسان تغير مسار حياته ربما يراها البعض نهاية لمسيرته، بينما يراها هو طريقًا جديدًا قد لا تكون معالمه واضحة ولكنه طريق يعلمه الله وقد وجهته إليه «الأقدار »ويحقق فيه ما لم يخطط له، فليس دورنا البحث عن الأقدار بل نعمل ونترك الأقدار لمقدرها .

* الكلمات هى مقدمة لحياة رجل أعطى حياته كلها لوطنه و استعان بـالله ، ففتحـت أمامـه الأبواب وتيسرت الطرق فحفر التاريخ اسمه فى قلوب النـاس وفى أعـلى مراتـب التـاريخ ،فهـو الرجل الوحيد الذى عمل فى أربع حقب من تاريخ مصر شـغل خلالهـا أرفـع وأهـم المناصـب بداية من عهد الملكية مرورا بعصور الجمهورية الثلاث فى سلسلة من العطاء المتواصل ،لم يكـن مجرد وزير أو مسئول بل كان عالما ومثقفـا وضـع حلـولا لمعظـم مشـاكل المحروسـة لعقـود طويلة، و حصل على العديد من المؤهلات العلمية فى شتى المجالات وأثرى المكتبات بمؤلفاته التى ما زال يعاد طبعها فى دور النشر العربية والعالمية حتى الآن ،وتعد مرجعـا علميـا وتاريخيـا للباحثين،ولم يتوقف عطائه رغم تعديه العقد التاسع من العمر، وما زال مـادة للإعـلام فى أعظـم وأجل المناسبات القومية ،فعندما نحتفل ب 23 يوليو نتذكره وفى العام 56 وكذا عيد التليفزيون وهيئة الاستعلامات وحرب أكتوبر المجيدة وكذا بصماته فى المجالس القومية المتخصصة و فى المناطق السياحية فى مصر والعالم العربى مثل مدينة الغردقة وسيدى عبد الرحمن ، ونقل معبد أبو سمبل وإنشاء السد العالى أعظم مشاريع القرن العشرين إنه أبو الإعلام المصرى الـدكتور «عبـد القادر حاتم » الذى أحب الجميع فحفر اسمه فى القلوب.

المبحث الأول
أحببت الناس فأحبوني

لعبت الأسرة والتربية الدينية دورا كبيرا فى حياتى فقد نشأت فى أسرة متدينة كانت الصلاة والقرآن أهم ما يميزها فلم يكن أحد منا ينام قبل أن يصلى العشاء ، وكان يوم الخميس هو ملتقى سماع القرآن حيث يأتى المقرأ إلى البيت لنستمع إليه فى شغف ونتعلم أمور الدين ، هذا علاوة على الملتقى القرآنى السنوى يوميا فى شهر رمضان ، فلم تكن هناك إذاعات أو تليفزيون كما هو الآن وهذا يعنى أن الناحية الدينية متوفرة منذ الصغر وقد استمر معى هذا الوازع الدينى وتربى عليه أبنائى ،و ما ترك تأثيرا كبيرا في نفسي أن والدي كان لديه مطحن دقيق في الإسكندرية، وكان يريد منى السفر إلى بلجيكا لدراسة النسيج ، ولكن الأقدار لعبت دورها ولقى ربه قبل أن أسافر ، وقبل موته أعطى لوالدتي خطاب به كل شيء ما له وما عليه، وجاء قدر الله ورحل عن دنيانا وفتحنا الخطاب وقمت بطلب كل الأسماء التى ذكرها لكى نعطى كل واحد منهم حقه ، وكان أغلبهم يهود وأجانب ،وبعد لقائى معهم أخبرتهم بوصيه الوالد وانه ترك كذا وكذا وهذا الخطاب به كل شىء ما له وما عليه، فطلبوا أن أتركهم بعض الوقت ، وعدت إليهم بعد نصف ساعة فقالوا لى والدك ليس عليه كمبيالة أو شيك بما ذكره فى وصيته فكيف نأخذ هذا المال ، وحاولت أن أثنيهم عن هذا القرار فرفضوا وانتهى الأمر وتعلمت من تلك القصة أن الكنز الحقيقى فى الحياة هو الشرف وحب الناس ،

وكانت هذه هى وجهتى فى الحياة أحببت الناس فأحبنى النـاس وقـد سـألت أكثـر مـن مـرة خلال حياتى العملية « لماذا يحبك الناس »؟ ،وقد نفعني حبى للناس وحب الناس لى في حيـاتي وتعلمت منه ألا أكذب أو أشتم أو أتطـاول عـلى أحـد طـوال حيـاتى .. وبـنفس الطريقـة تربـى أولادى .

* أحيانا تلازم الأقدار شخصًا قبل المولد وفي بعض الأحيان تكون في الطفولة أو الشـباب أو في جميع مراحل العمر، وقـد لعبـت قدريـة المولـد دورًا كبيـرً في نشـأتى ، فقـد ولـد ت في حـي «العطارين» أحد الأحياء العريقة بمدينة الإسكندرية والتحقت بمدرسة العطارين الابتدائية وهنا تدخلت الأقدار بأن يكون رفيق دربى دون أن أعلم جمال عبد الناصر وثالثنا الدكتور عبـد العزيـز كامل نائب رئيس الوزراء الأسبق، وكانت هذه المرحلة في العشرينيات والثلاثينيات مـن القـرن الماضي وهي الفتـرة التـي بـدأ الشـعب المصـري ينـتفض فيهـا بكـل طوائفـه ضـد الاحـتلال الإنجليزي الذي طال بقاءه بمصر، فكان لكل فرد دور حتى الأطفـال كـانوا يعبـرون عـن نـبض الوطن بطريقتهم ، فكنا فى المدرسة الابتدائيـة نخـرج فى مظـاهرات تنـدد بـالإنجليز وتطالـب بخروجهم في مسيرات بطولية قد يسقط فيها العشرات منا شهداء وكان من بـين تلـك المـدارس مدرسة العطارين الابتدائية وأذكر فى إحدى المرات خرجت فى مظـاهرة مـن مدرسـة العطـارين وكان من زعمائها جمال عبد الناصر وكانت تندد بالإنجليز وبمن يتعاونون معهم من السرايا ضـد المصريين وفي تلك الفترة كان رئيس وزراء مصر إسماعيل صـدقي باشـا ورفعنـا لافتـات تنـدد بالاحتلال وبمن يعاونون معهم

وكنا نردد هتافات تندد بالإنجليز وحكومة صدقى وكـان مـن بـين تلـك الهتافـات «يسـقط صدقي» – كان وقتها الاحتلال الإنجليزى مهيمن على كل شىء فحكمدار الإسكندرية إنجليزي والكونستبلات إما إنجليزي أومن مالطا أو قبرص والامتيازات الأجنبية كانـت هـي الفيصـل فى أي نزاع فإذا حدثت مشاجرة بين مصـري وأجنبـي يـتم القـبض عـلى المصـري ويطلـق سـراح الأجنبي هذا بجانب أن المحلات الأجنبية كانت تملأ الإسكندرية فـإذا أردت شـراء شـيء مـن أحد المحلات فعليك أن تستخدم الإنجليزية أو الفرنسـية أو الإيطاليـة وكـذلك الحـال في دور السينما إذا دخلتها مساء تجد الأجانب يرتدون ملابس «الردنجـوت» الرسـمية للسـهرة بحيـث يجلس هؤلاء في مكان ويجلس الوطنيون في مكان آخر ونفس الحال كان في الشوارع التي تحمل أسماء أجنبية أي أن الإسكندرية كانت معرضة لعملية مسخ هوية وهو ما جعل فيها نبرة الوطنيـة عالية جدًا لأننا كنا لا نشعر أننا لا نعيش في وطننا بل في وطن آخر وأصبح هناك سخط على كل ما هو أجنبي ومن يتعاون معه ومن هذا الجو انطلقت المظاهرة التي تنـادي بسـقوط صـدقي وكنـا نشاهد تلك المظاهرات وعندما اندلعت مظـاهرة صـدقي كـان عمـرى تقريبـا 12 أو 13 عامًـا ووجدناهم يقبضـون علينـا ويقـدموننا للمحاكمـة في محكمـة المنشـية بالإسـكندرية وفي يـوم المحاكمة جاء مكرم عبيد سكرتير عام حزب الوفد ليدافع عن الطلبة وكان صـدقي باشـا رجـلا ماكرًا وشديد الدهاء فأرسل ثلاثة من رؤساء النيابة ليقاطعوا مكرم باشـا في دفاعـه. وعنـدما بـدأ مكرم عبيد في مخاطبة المحكمة بقوله «سيادة الرئيس

.. السادة المستشارين .. إنني سأقول الحقيقة في هذه الدعوى إن هؤلاء الشباب أبرياء» فإذا بالثلاثة الذين بعث بهم صدقي باشا يقاطعونه مشيرين إلى أن هذا كذب وكلما تكلم مكرم عبيد استمروا في مقاطعته قائلين هذا كذب وغير حقيقي« الأمر الذي دفعه للتوقف أكثر من مرة أثناء المرافعة حتى اضطر في نهاية الأمر إلى أن يخلع ثوب المحاماة ووضعه أمامه وقال «سيادة الرئيس حضرات المستشارين، قلت الصدق ثم أشار إلى رؤساء النيابة الثلاثة وقال: إنهم يكذبونني يريدون مني أن أقول الكذب ليصدقوني ولكنني أقول لهم بأعلى صوتي «فليحيا كذبي ... وليسقط صدقي» وأخذ مكرم عبيد يكرر بصوت عال «فليسقط صدقي فليسقط صدقي، فليسقط صدقي» ورددنا وراءه جميعًا يسقط صدقي مع تصفيق حاد بعد هذه الكلمات فما كان من المحكمة إلا أن رفعت الجلسة للمداولة وجاءت بعد ذلك وأعلنت الحكم ببراءة جميع الطلبة.. وإذا بصدقي باشا يرسل خطابًا ماكرًا لهيئة المحكمة يشكرهم على العدالة رغم حكمهم ببراءة الطلبة وهتافهم بسقوطه وقال إن هذه هي العدالة وأظهر أمام الرأي العام مدى احترامه للقضاء وبعد ثلاثة أشهر بعد أن هدأت الأمور قام بنقل القضاة إلى أقاصي الصعيد ومكثوا هناك ثلاثة سنوات ... وهذا يعني أننا تعلمنا الوطنية عمليًا وتلك كانت سمة الشعب في ذلك الوقت.

مواقف للنحاس باشا

عندما كان النحاس باشا رئيس وزارة وكان هنـاك مـؤتمر وفـد بالإسـكندرية وكـان صـدقي والمعارضة ضده وكان النحاس باشا واقفًا على المنصة ويقول أيها المواطنـون وإذا بواحـد مـن المجموعة المكونة من (50) فرد تقريبًا يقوم ويهتف يحيى النحاس باشـا ويـردد البـاقين وراءه هذه الهتافات وكلما قال أيها المواطنون يهتفوا. فعلم النحاس أنهم أتو لكي يشوشوا عليه حتـى لا يتحدث فقال النحاس«الياور بتاعي يروح للولد اللي هناك ده وشاور عليه وقال اللي بيهتـف دا لازم يترفد وبعد أن ذهبوا إلى صاحب الهتاف وخطب النحاس وبعدما انتهى جاء له الياور وقـال له «رفعت الباشا هذا الولد مش موظف بالحكومة فرد النحـاس قـائلاً أنـا قلـت يترفـد.. عينـوه وبعدين ارفدوه».

وموقف آخر علمنا الوطنية والنزاهة فى الطفولة فإن تجد النحاس باشا يأتي إلى البرلمان وهـو يمسك «فرو زوجته» ويقول المعارضة تهاجمني وكان وقتهـا مكـرم عبيـد ضـده ويقولـون أننـي اشتريت لزينب هانم زوجته «2 فرو» فأنا بالفعل اشتريت اثنين وهذه هي الفـاتورة بثمـنهم وقـد قلت وقتها للسفير اشتريها وهات الفاتورة لأدفعها وبالفعل قمت بـدفعها وهـذا في مقـدوري أن اشتريه فما سر هجومكم أنظر إلى تلك الشفافية والنزاهة التي تلعمناها.

المبحث الثاني
حادث الجبل الأصفر

ساهم الواقع الذى كان موجودا قبل الثورة والحياة التى كان الجيش الإنجليزى يرسمها للمصريين والوضع المتأزم وخصوصا فى الإسكندرية فى توجهى العلمى وتطلعاتنا ونحن صغار بجلاء المحتل ولم نر وقتها طريقا للخلاص سوى أن نكون أفراد فى الجيش فقد كانت الجيوش وقتها هى التى تحول مقادير الأمور ولأننا عشنا المشاعر الوطنية الحقيقية ونعلم أن مصر لها حق علينا بأن نخلصها من الاحتلال الغاشم الجاسم على صدرها منذ أكثر من سبعة قرون اتجهت بتفكيرى إى الالتحاق بالكلية الحربية وبالفعل التحقت بها وقضيت فترة الدراسة ورأيت عن قرب كيف يفرقون بين المصرى والجنسيات الأخرى فازدادت بداخلى المشاعر الوطنية التى ألهبت صدرى ولكن لم يحن الوقت فالخلاص كان يحتاج إلى ترتيبات كبيرة وفى تلك الأيام كان الشارع يغلى على كافة المستويات والمقاومة على أشدها يسير معها فى نفس الطريق الاتجاه الدبلوماسى الذى أسفر عن توقيع اتفاقية الجلاء سنة 1936 .. وبعد تخرجى من الكلية تم تعيينى فى لواء الحدود بالجبل الأصفر وكان أغلب عساكره من السودان والنوبة وفي أحد الأيام تلقيت مكالمة تليفونية من الشاويش المسؤول عن وحدتي في منتصف الليل أخبرني بأنه لا يجد طبيبًا لتوليد زوجته حيث يسكن بالجبل الأصفر قريبًا من المعسكر، فأخذت سيارة تاكسي ومعي الطبيب وتوجهت إليه وتم إنقاذ زوجته و

وبقيت فى المعسكر حتى موعد طابور الصباح وبعد الطابور توجهت أنا والشاويش إلى الجراج لاستقلال السيارة وكان الجيش الإنجليزى قد أعطى الجيش المصرى مجموعة من السيارات بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وكان من نصيب حرس الحدود بعضا منها وأثناء وجودي في الجراج مع الشاويش أدار السيارة وكانت أول مرة يستخدم فيها هذه النوعية من السيارات فوقفت أمامه حتى يخرج بسلام من الجراج .

«وأنا أقول له «تعالى» فاختلطت عليه الفرملة والبنزين وبدلا من أن يضغط على الفرملة ضغط على البنزين وأنا أمامه ووجدتنى أقفز فوق صندوق يرتفع حوالي نصف متر عن الأرض كنت قد حركته قبل أن تتحرك السيارة ولولا قدر الله وأنني ارتفعت فوق هذا الصندوق لما نجوت من أمام تلك السيارة والتي أحدثت عدة كسور في أرجلي وفخذاي».. وحملوني إلى المستشفى بين الحياة والموت ووجدوا أن الموضوع «قدري» فبعثوا إلى أهلي في الإسكندرية لكي يحضروا إلى مستشفى القوات المسلحة ومكثت شهرًا بالمستشفى حتى استطعت أن أتكلم وعندها وجدت أمامي رئيس أركان حرب القوات المسلحة إبراهيم باشا عطا الله وكان هذا في عام 1945 في أعقاب الحرب العالمية الثانية وجاء معه العديد من القادة والضباط ومدير المستشفى وكان الخبر قد وصل إليه بأن عسكري حاول أن يقتل «ضابط» وكانت رتبتي وقتها «ملازم» فدخل وقال لي وأنا نائم على السرير «بصراحة أنت ستخرج من الجيش غير لائق طبيًا لأنه لا يجوز بعد هذا الحادث أن تكمل بالجيش ...

وأنك كما قال الأطباء ستظل بعكازين لمدة ثلاثة سنوات.. والسبب الشاويش الذي كسر لك أقدامك ونظرًا لأنك لم تكمل 15 سنة بالجيش فليس لك معاش ولك مكافئة نهاية الخدمة وهي عبارة عن 150 جنيه وأن الشاويش الذي ضيع مستقبلك لن أتركه وسوف أعطيه أقصى جزاء أستطيع أن أعاقبه به لأنه أضاع مستقبلك ثم سكت وقال لي ... أنت تطلب إيه؟ فقلت له أطلب ترقية هذا الرجل فنظر إلى من حوله اعتقادًا منه أن الضربة لم تأتي إلى قدماي فقط بل في رأسي» فقال لي «طب ليه» فقلت له «هذا الشاويش طلب مني كذا وسردت له قصة ولادة زوجة الشاويش أنا خدمته ولا أتصور أنه كان يقصد هذه الحادث هذا بجانب أنه كان مرهقًا وأنا أيضًا لأننا لم ننم طوال الليل وأيضًا أنا مخطئ لأنني واقف أمامه فأنا المخطئ وهذا الرجل مظلوم من جميع النواحي وأنا أطالب بترقيته» فقال لي «واحد أضاع مستقبلك وأنك ستترك الجيش ولن يكون لك معاش كل هذا وتطلب ترقيته» فأخرجت له ورقة كان الشاويش تقدم بها لي يطلب الترقية لأن عليه الدور وأنا كنت كاتب عليها ليوافق رئيسي على الترقية، فأخذ الورقة وكتب عليها «يرقى» وقال لي «لم أرى أحدًا بهذا الشكل» فمسيرة حياتي كانت هي التسامح من البداية وهو مبدأ إسلامي كنت حريصًا جدًا على ألا أتركه.. وقبل أن ينصرف قال لي رئيس الأركان «أنت ستكون رجل عظيم في يوم من الأيام» وبعدها وجدت تعاطفًا من الضباط بالمستشفى لأنهم كانوا يجدونني أصلي وأقرأ القرآن على الدوام فيتعجبون «واحد سيترك الجيش بعد أيام ويفعل هذا».

مفترق الطرق ...«إقرأ»

أثناء وجودي بالمستشفى انحصر تفكيري فيما سأفعل بعد خروجي من الجيش وفي أي طريق سأسير وكنت أدعو الله دائمًا وتذكرت أن أول آية أنزلها الله على رسولنا الكريم «اقرأ» فقررت أن ألجأ إلى ما قاله الله وهو «العلم» وتذكرت قول الله تعالى «إن مع العسر يسرا» وأيقنت أن اليسر قادم ويجب ألا أغضب إذا سرت في هذا الطريق ولم يكن أمامي غير هذا وأخذت أفكر فيما سأقرأ وبماذا أبدأ؟ فوجدت أن الضباط الإنجليز في مصر نظرًا لبعدهم عن إنجلترا ولا توجد جامعات فإنهم يدرسون في «البريتش كانسل» حيث هذا المعهد الإنجليزى بعمل ورش في الاقتصاد السياسي فطلبت من بعض المعارف والضباط الالتحاق به عن طريق الجيش لأننى لم أنهى الخدمة حتى الآن فوافقوا وكانوا يعطوني سيارة للذهاب إلى المعهد البريطاني في «الجزيرة» كل هذا وأنا أحمل «العكازين» وبدأت أقرأ في اتجاهات أخرى وكان في نفس الوقت توجد بالقوات المسلحة «كلية أركان الحرب الملكية» وهي التي يتخرج منها القادة فبدأت أذاكر لكي أتقدم لهذا الامتحان الذي يتقدم إليه ما يقرب من 3000 لا يجتاز الاختبار سوى 30 فرد فقط وكنت وقتها مازلت بالمستشفى لأنني لو خرجت منها سأكون خرجت من الجيش وبالفعل التحقت بكلية أركان الحرب.. هذا بجانب أننى كنت شغوفا جدا بالعلم فبدأت فى دراسة العلوم السياسية وحصلت على دبلوم من المعهد البريطاني كل هذا وأنا فى المستشفى

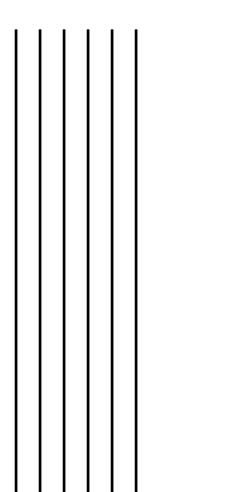
حيث تعاطفت معى إدارتها وكلما حان وقت خروجى كانوا يعدون تقرير بأننى مازلت أحتاج فترة أخرى للعلاج وكانوا يضعوا لي كورسات علاج جديدة مساج وغيره وبدأت رحلة العلم لأنها الوسيلة الوحيدة وهي التي قالها الله «اقرأ» وأذكر أنه قبل التحاقي بكلية القادة والأركان وأنا بالمستشفى وكنت مازال على قوة الجيش كان هناك امتحان للترقي وأنا «يوزباشى» فاجتزت الامتحان وكنت الأول فيه... وحدث أمر غريب أنه بعد الامتحان طلب رئيس الأركان الجديد أن يقابل الأول في امتحان الترقي ومعه طالب آخر راسب، فدخلنا عليه أنا على «عكاكيزي» ولست وجيهًا في اللبس والآخر كان بيلعب رياضة وجمسه كويس وعندما دخل أدى التحية بطريقة عكسرية فاعتقد رئيس الأركان أن زميلي هذا هو الأول وأنا الراسب لأنه لم يسألنا عن الأسماء فأخذت ساعتها سيلاً من الشتائم وأخذ الآخر من عبارات الثناء والتشجيع.. ودق جرس الهاتف فخرجنا من عنده فحكيت لمدير مكتبه ما حدث فقال لي لا تغضب هو لن يكتب هذا وهذه كانت بداية دخولي لكلية أركان الحرب وقبلها كنت التحقت بجامعة القاهرة للدراسة بقسم العلوم السياسية التابع لكلية التجارة وكانت مدة الدراسة ثلاث سنوات، وبعدها دخلت كلية أركان الحرب بعد نجاحي في الاختيار وتم اختيار الثلاثين من جميع المتقدمين وكان وقتها عبد الناصر وزكريا محيي الدين وصلاح سالم مدرسين بها وهذا فى العام 1952 قبل ثورة يوليو ... وقد كان توجهى للعلم حبا فيه ولكى أجد وسيلة أعيش منها بعد تركى للخدمة وكنت محبا للصحافة وكانت تلك بداياتي مع الإعلام في مجلة روزاليوسف.

الرسم في حياتي

أحب الرسم منذ طفولتي وتعلمته من صلاح طاهر وكان أستاذي في مدرسة العباسية بالإسكندرية وكان شابًا وجيهًا. شكله جميل وهو سوري تعلمت على يديه مبادئ الرسم. وفي أحد المرات قالت لي زوجتي أن الرسم والأدوات والألوان سوف تتلف البيت فيه غرفة فوق ممكن تخصصها للرسم وهو ما حدث، ودارت الأيام وأصبحت وزير ثقافة وهو كان يأتي لي لكي أفتح له المعارض وكنت أوعاكسه وهو شكله جميل وكل البنات حوله فكنت أقول لمن حوله في دعابة أنا عايز أقولكم حاجة «صلاح دا أكبر مني بـ20 سنة» وهو الذي علمني الرسم دا كان أستاذي، وكنت قد وضعته في المجالس القومية المتخصصة بعدما ذهبت إليها وهو كان لا يحب وزير الثقافة الحالي فعندما خرجت أتى وقال لي «تمسك رئيس مجلس إدارة جمعية الفنون الجميلة التي يرأسها هو.. فرفضت فعملوني رئيس فخري لها» والرسم عندي هواية جميلة وربنا هو الذي يرزق.

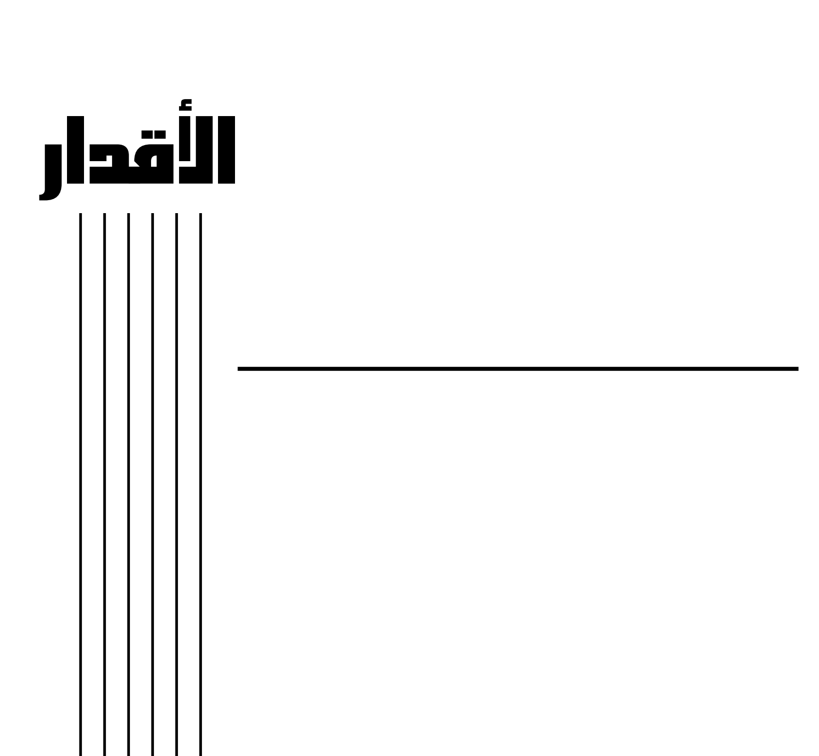
- وفي أحد المرات وأنا أرسم عملت لوحة زرقاء ووضعتها على الأرض وكان بجوارها علبة زنك أبيض وعند دخول طارق إلى المنزل وهو يجري اصطدم بعلبة الزنك فطرطشت عليه فتأسف، فوضعتها على الحائط وعند نزول اللون الأبيض على الأزرق أصبحت هناك أشياء غريبة على اللوحة وجاءني وزير صديقي فقال لي أنا أعلم أنك بترسم وأريد أن أرى بعض الأشياء فأخذته إلى السطح وقلت له لأنه ممنوع أن أرسم بالمنزل، وأخذ الوزير يطالع اللوحات وأعجبته اللوحة التي سكب عليها طارق الزنك الأبيض وقال لي أنا أريد تلك اللوحة وأخرج شيكًا من جيبه وكتب فيه 5 آلاف إسترليني فقلت له هذه اللوحة هدية مني إليك لكن أنا لا أبيع لوحات واحتفظ بالشيك إلى الآن، فلو أن طارق يخبط في لوحة كل يوم ويأتي بـ 5000 إسترليني.

الفصل الثاني
حكايتي مع روزاليوسف



رحلة

الأقدار



المبحث الأول
رؤية مستقبلية للاقتصاد الحر

أثناء وجودي في كلية أركان الحرب وبعد دخولي ي كلية العلوم السياسية فكرت في زيادة دخلي فأنا أمتلك العلم في الاقتصاد والعلوم السياسية فلبست بنطلون وقميص «زي مدني» وذهبت إلى روز اليوسف وأعطيتهم مقالة، وسلمت عدد آخر من المقالات فكانت تنشر مرة ولا تنشر عدة مرات وكنت أسلمها لصحفي لبناني يعمل بالمجلة هو «سليم اللوزي»، وبعد نشر المقال الأول ذهبت إلى المجلة ووجدت السيدة روز اليوسف وكانت في اجتماع مع إحسان عبد القدوس الذي كان صديقًا لى وعندما دخلت إليها نظرت لي وقالت «نحن نعطي لمن يكتب مقالة 3 جنيه ولو جبت خبر سوف تحصل على 25 قرش للخبر الواحد »فقلت أن هذا أمر جيد أكتب أربع مقالات في الشهر لأن المجلة أسبوعية فتكون الحصيلة 12 جنيها وكان هذا المبلغ يعادل مرتبي في الحكومة، وبدأت في كتابة المقالات في المجلة وسبحان الله كانت مقالاتي كلها معظمها تتحدث عن رؤية مستقبلية للاقتصاد الحر وهو ما يطابق النداءات الموجودة الآن، فكتبت في أحد المقالات بأنه من الضروري أن يكون هناك بنك مركزي فلم يكن يوجد قبل الثورة بنك مركزي «بنك للبنوك» بل كان هناك البنك الأهلي وعندما أتى السادات بعد عبد الناصر تحدث معي في إنشاء المصرف العربي الذي يضم مساهمات من عدد كبير من الدول العربية.

بعد أن سارت بنا الحياة و كتبت العديد من المقالات الاقتصادية قلت في مقال البنك المركزي أن محفظة البنك المركزي يجب أن تكون متنوعة لأنها كانت عبارة عن السندات البريطانية فقط ويجب أن تتنوع المحفظة من الإسترليني وغيره لأن مصر تتبع نظام الاقتصاد الحر ولكنه لم يكن النظام الذي تحدث عنه الاقتصادى «آدم سميث» في كتابه «ثروة الأمم» لأن سميث لم يقل الكلام الذي يطبق في العالم الآن، فالرأسماليين الموجودين يقولون هذا هو الاقتصاد الحر.. بينما حقيقة الأمر أن هذا الرجل قد أتى وهناك اقتصاد حر موجود ، و حاول إصلاح هذا الاقتصاد الحر فقال لابد أن يكون الاقتصاد الحر محكوم وهو ما كان مرفوض لدى الرأسمالية في ذلك الوقت التي لا تريد من الحكومة أن تتدخل في هذا الاقتصاد بل كانوا يريدون حرية مطلقة للسوق وهو عكس ما نادى به سميث الذي أراد اقتصاد حر وأن تكون هناك يد خفية من جانب الحكومة تتدخل لصالح البلد، وكتبت هذا الكلام و قلت لا يوجد شيء اسمه اقتصاد حر مطلق ولكن له حدود وليست قيود،فالمنافسة مطلوبة ولكن فى ظل قانون يمنع الاحتكار ، وعندما ذهبت للمجالس القومية بعد سنوات قمت بإعداد قانون الاحتكار بعد أن تحولنا إلى الاقتصاد الحر، وتناولت في مقالاتي عن الاقتصاد الحر مشكلة الفقراء وقلت يجب أن يكون أساس الحكم «العدالة الاجتماعية» وأن يكون الإسكان هو البند الأول في هذا الاقتصاد لأن له فوائد كثيرة أهمها أنه يوجد الانتماء الحقيقي لأنني أربط المواطن بأرضه ، ولتحقيق ذلك يجب أن تكون هناك نسبة من الشركات الموجودة لصالح هذا القطاع

ولكي يتحقق هذا الأمر يجب أن يكون الحديد والأسمنت قطاع عام حتى لا يكون هناك نـوع مـن الاحتكار.. وأنظر إلى ما يحدث اليوم من ارتفاع لأسعار مواد البناء نتيجة عدم تفعيل قوانين الاحتكـار فتجد أن الأغنياء هم الذين يشترون العقارات.. ونقطة أخرى أثرتهـا في ذلـك الوقـت حـول موضـوع الإسكان وقلت أن الحكومة يجب أن تتدخل لتخفيض أسعار المساكن لأن الرأسـماليين قبـل الثـورة كانوا يرفعون أسعار المساكن وكان الإنجليز بكثرة فى مصر وكانت لهم امتيازات عن الـوطنيين فقلـت يجب أن تتساوى الرأسمالية الوطنية مع الأجانب في الضرائب .

لأن الإنسان لا يشعر بالولاء أو يؤمن به، إلا من التملـك لقطعـة أرض أو سـكن وأن تشـعر أنك أصبحت منها، فالوطن ليس فقط سماء وأرض وإنما هو ولاء وانتماء فكلنا ننتمي إلى مصـر لكن أهم من هذا الولاء. ومن أجل هذا يجب أن يكون الحديـد والأسـمنت الـذي هـو أسـاس البناء والتملك ملك للدولة وهذا الكلام قيل في ظل نظام إقطاعي رأسمالي قبل الثـورة وطالبـت من خلال هذه المقالات بتحقيق الإسكان لمحدودي الدخل وقلت بأنه يجـب أن تكـون هنـاك علاوة غلاء نظرًا للارتفاع المستمر في الأسعار واليوم يفكرون في علاوة الغلاء.

❋ وبعض المقالات أكدت فيها على ضرورة أن يكون في مصر بنك مركزي وألا يكون الغطاء من السندات البريطانية بل متنوع ، ويجب ألا نبيع الأرض للأجانب وإنما تعطي لهم عن طريـق حق الانتفاع وقلت أيضًا يجب أن يكون تملك الأراضي للمصريين وكتبت بيت شعر لشوقي:

أحرام على بلابله الدوح   حلال للطير من كل جنس

وقلت أن نظام الاقتصاد الحر الموجود في ذلك الوقت قال عنه الرأسماليون أنه تطبيق لنظريات أبو الاقتصاد «آدم سميث» وأنا رجعت إلى سميث في كتابيه «ثروة الأمم» و«كتابه «الأخلاق» فوجدت أن سميث يقول في كتبه «أن الحكومة يجب أن تكون قوية في ظل الاقتصاد الحر» وكلمة قوية حددها بأن تمنع الاحتكار ويجب أن يكون هناك تنافس ولكن بعض أصحاب رؤوس الأموال كانوا يفسرون الموضوع على أنه سداح مداح.

– وتحدثت أيضًا عن الغذاء وعن قناة السويس التي يقدر دخلها قبل الثورة بـ 30 مليون جنيه لا تأخذ منها مصر سوى مليون واحد فقط فيجب أن تكون القناة لمصر وليست مصر للقناة وكان الأمن الغذائي محور اهتمامي وقلت يجب الاهتمام به ووضعت تصورات حول تلك الأمور.

– وكتبت في مقالاتى أنه يجب على المسئول أن يفرق بين العواطف وحب الوراثة والقرابة والصداقة للصالح العام وهذا أساس الحكم وأنا بالفعل فعلت هذا في حياتي فعندما كان يأتي لي قريب أو صديق يشتكي من شيء معين كنت أقول له اذهب واشتكي في مجلس الدولة وخذ أتعاب المحامي.

المبحث الثاني
نبوءة سليم ذكي

في أحد المرات عندما كنت بالمجلة وبعد تسليم المقال وأنا نازل على السلم وجدت «سليم اللوزي» يقول لي إنت معاك عربية فأجبته نعم لأنني كنت أستعمل السيارة الميري نظرًا «لظروفي »وكنت أرتدي الزي المدنى فسألته عن وجهته ، فقال شارع الملك لأني ساكن هناك فوق السطوح ، حيث أنه قد صدر أمر من البوليس بضبطى وترحيلى فأنا أريد أن آخذ «عفشى» ، وتوصلني للمطار وبالفعل قمت بتوصيله.. وفي اليوم التالي وجدت طرق على الباب ففتحت فوجدت ضابط يقول لي أنت الصاغ عبد القادر حاتم قلت نعم فأخبرنى أن رئيس القلم السياسي«سليم ذكى » يريد مقابلتى، وذهبت مع الضابط وعندما دخلت على سليم ذكى سألنى «أنت الضابط اللي بتكتب في روز اليوسف» فأجبته بنعم فقال «ألا تعلم أن الضابط لا يجب أن يكتب أو يتدخل في السياسة وتحتاج إذن من الجيش لكي تكتب» فقلت له أنا لا أكتب ضد مصلحة مصر بل أقول يجب أن يوجد كذا لمصلحة البلد ولم انتقد في مرة إلا وقدمت مع أي نقد طريقة الإصلاح كما يجب أن تكون وسردت له ما كتبت عن البنك المركزي والإسكان والغذاء وقلت لا أجد أي إساءة وقلت له أيضًا «أنا شاب وكما تعلم أن الشباب الآن يصاحب الراقصات والإنجليز بيعملوا كل شيء وكل بنت اليوم مصاحبة ولد من الضباط والسهرات وغير ذلك وأنا كان من الممكن أن أسير في هذا الطريق وأصحابي كلهم وزملائي مشوا في هذا الطريق، أما أنا فكان طريقي هو القراءة والثقافة من أجل أن أبني مستقبلي،

وأنا لم أشتم أحد بل أقول ما يجب أن يكون والدين يقول لنا هذا ،وذكرت له الشهادات التي حصلت عليها »فقال لي أنت تقول كل شيء بصدق فأجبته نعم أنا صادق فقال لم أرى واحد يعترف بهذا الشكل فقلت أنا أعترف وبإمكانك بورقة صغيرة تبعث بها إلى القوات المسلحة فيتم «رفدي» غدًا وفي إمكانك ألا تكتب هذه الورقة، فقال لي تعترف بكل هذا الكلام فقلت له نعم فأنا لا أكذب وحتى أصدقائي يعملون هذا وأنا عايز أعيش وليس لي مورد رزق غير علمي وأنا أخدم بلدي بهذه الطريقة فقال لي «أنت ستكون رجل عظيم».

الذكاء من نبع فى القلب

زارنى حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم السابق منذ فترة بسيطة وتحدثنا سويًا فى العديد من الأمور الدينية فقال لي أن مجموعة من العلماء في العالم عملوا بحث عن الذكاء وأنه كان متابعًا لهذا الموضوع وقال لي ، الكثير منا يعتقد أن الذكاء يأتي من المجتمع نفسه ولكنه يأتي من نبع في القلب وهو ما يؤيد الحديث النبوي الشريف «ألا إن في الجسد مضغة ...» وما يقال عامة أن قلب المؤمن دليله وقال لي أن لديه هذا البحث فقلت له أن أشياء كثيرة تحدث للفرد منا ففي 1954 وهذا يؤيد ما أكرمني الله به وكنت أكتبه منذ أكثر من 50 عامًا في مجلة روزاليوسف منذ فترة وفي صحيفة الليموند «الكلام في مايو2010» قال المدير السابق للبنك الدولى « أخطأت عندما كنت أقول للدول المختلفة أن تمشي بنظام الاقتصاد الحر والحكومة لا تتدخل » وكتب رئيس الوزراء الفرنسى مقال مهم أكد فيه على ضرورة تدخل الحكومات فى الاقتصاد لتصحيح الخلل الذى تحدثه الاحتكارات «و اليوم وبعد الأزمات العالمية المتتالية هناك اتجاه وفكر دولي إلى العمعمة بدلا من الخصخصة وتدخلت الحكومات الآن في تحديد أموال من يديرون البنوك حتى أن بعضهم كان يحصل على ما يصل إلى 40 مليون دولار

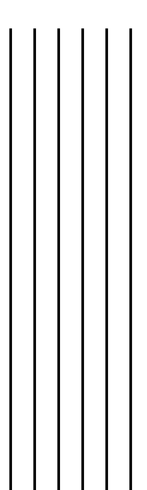
.. وهذا يؤكد ما كتبته من قبل بوجوب تدخل الحكومة وألا تترك الأمر للسوق الذي يولد الاحتكار وليس التنافس.

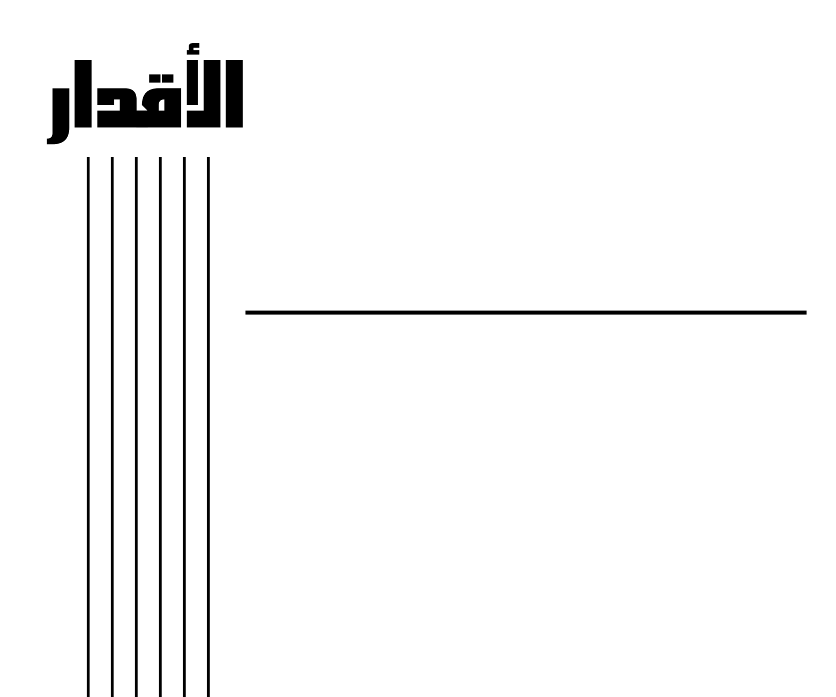
***

العمعمة بديلا عن الخصخصة

قلت قبل نصف قرن أيضًا أن الحكومة يجب أن تتدخل من أجل العدالة الاجتماعية، وهناك نقطة قناة السويس قبل التأميم فقد كانت إيراداتها 30 مليون دولار تأخذ الدول المساهمة أو صاحبة الامتيازات 29 مليون ويتبقى لمصر مليون دولار فقط وفي هذا الأمر أصبحت مصر للقنال وليس القنال لمصر وكل هذا كتب في روز اليوسف وقلت أيضًا يجب أن يكون هناك وحدة نقد عربية وقدمت اقتراح «الدينار العربي» لأن النقد هو الأساس في كل الأمور وهذا الكلام مكتوب، وشاء القدر وبعد الثورة أن قال لي عبد الناصر هات هذا الكلام الذي كتبته وكنا على علاقة قبل الثورة وكنت في هذا الوقت قد حصلت على دبلوم في الاقتصاد السياسي من لندن وكل هذا معلومات مختلفة استقيتها من الاقتصاد البريطاني وقال لي عبد الناصر وكنت وقتها مدير مكتبة أريد هذه الأمور في شكل قوانين وتم إعداد تلك القوانين، قانون بتخفيض الضرائب ثم تخفيض الإيجارات مثلا إلى ما يقرب من 50٪.

الفصل الثالث
أيام مع عبد الناصر





المبحث الأول
كنت مع الضباط الأحرار ولم أدخل التنظيم

لم تكن علاقتى بعبد الناصر مجرد علاقة عابرة ، فمنذ الطفولة ارتبطنا بعلاقات قوية بحكم النشأة فى الإسكندرية والجوار فى المنزل وكذا الدراسة فى مدرسة العطارين الابتدائية ربطت بينى وبين الرئيس عبد الناصر علاقات منذ الطفولة بحكم النشأة فى الإسكندرية وفى مدرسة العطارين الابتدائية ، كما جمع بيننا هدف مشترك منذ الطفولة وهو ضرورة طرد المحتل الإنجليزى وزبانيته من مصر ، فقد كان عبد الناصر منذ طفولته يحلم بخروج الإنجليز من مصر ومن هنا جاءت فكرة إنشاء الضباط الأحرار بالجيش وفى بداية تكوين الضباط الاحرار لم أكن معهم لظروف خاصة ، فعبد الناصر يعرفني ويعرف عائلتي وأنا كذلك أعرفه وأعرف عائلته، فأخبرنى عن التنظيم وعرض أن أكون معهم فقلت له أنا عندي ظروف وأنت تعلمها ،أنا عندي أربعة أبناء وعندي أخت أنجبت ثلاث بنات وكانت تريد ولد فأعطاها الله بنتان توأم وأصبح لديها خمس بنات وتوفي زوجها وأصبحت أنا المسؤول عنها فأصبح عندي مسؤولية كبيرة ولا أستطيع الانضمام، لكن أنا معاك «قلبًا وقالبًا» ، وذات مرة ونظرًا لأن سمعتي كانت طيبة في الجيش استدعاني رئيس المخابرات وقال لي أنت إنسان كويس وهناك ناسس المخا أنت إنسان كويس وهناك الانضمام لكن أنا معاك «قلبًا وقالبًا»

ونظرًا لأن سمعتي كانت طيبة في الجيش استدعاني رئيس المخابرات وحشين عايزين يعملوا تنظيم ويقلبوا نظام الحكم والملك، فالمطلوب منك أن تقول لنا إذا كنت تعرف أي شيء فقلت له من هم فقال لي واحد اسمه جمال عبد الناصر، وكان رئيس المخابرات رجل طيب فقلت له نعم أعرف جمال عبد الناصر فأنا في كلية الأركان وهو أستاذي وذهبت لعبد الناصر وقلت له ما حدث وأعلمته أنه مراقب ومعروف ومن الأفضل أن يجد حل في هذا الأمر ولم أدخل في التنظيم ،وقد كان أعضاء التنظيم ينتشرون فى العديد من المواقع الهامة بالجيش وكان هناك ضابط وضعه عبد الناصر بالمدرسة «أمين صندوق الضباط الأحرار » اسمه «مجدي حسانين» وكنت قائدا لمدرسة خدمة الجيش وكان بها مجدى حسانين بالإضافة إلى شفيق أبوعوف والد الممثل عزت أبو عوف وعدد من الضباط الأحرار..

وكنا نقوم بعمل حفلة سنوية يأتي ندعو إليها رئيس أركان الحرب للتفتيش على المدرسة وأثناء مرور رئيس الأركان وجدت مجدي حسانين يتحدث بهستيرية عندما رآه وأخذ يقول أثناء مرور رئيس الأركان «دا مش جيش دا جيش أونطة بتاع مزيكا بتاع أرض رمله .. دا تفتيش إيه دا» .. فنظر رئيس الأركان إلينا قائلاً« إيه دا إزاي يعمل كدا وتم تحويله للتحقيق» وغادرت إلى مكتبي ووضعت يدي على خدي لأن أحد الضباط الذين يعملون معي قام بشتم الجيش أمام رئيس الأركان، فوجدت عبد الناصر يدخل مكتبيي فى اليوم التالى ضاحكًا وقال لي «شوف احمد ربنا..

فقلت له كيف ذلك وأنا هترفد مجدي المجنون بتاعنا يقول لرئيس الأركان أن الجيش بتاعنا دا بتاع مزيكا فقال لي عبد الناصر « إمبارح وصلت دفعة سلاح للتنظيم علشان نبعتها للفدائيين بتوعنا اللي في القنال فلم نجد مكان لتخزينها سوى المدرسة بتاعتك.. وضعنا ها في أحد المخازن ولو وصل التفتيش إلى المخزن لتم القبض عليك فاتركني أتصرف» وفي هذا الوقت كان خال يوسف صبري أبو طالب قائد سلاح التعيينات وبعد هذا الموقف بعث لي القائد وقال «هل كنت تعلم أن مجدي حسانين سوف يفعل هذا أمام رئيس الأركان »فقلت له إن مجدي طول عمره مشاكس وساعات معينة تأتي إليه «نوبه هيستيرية وتقريبًا هو مريض وقد طلب العلاج من قبل.. فقال لي خلاص طالما أنت قلت ذلك وخرج مجدي من الموضوع.. فأنا كنت مع الضباط الأحرار ولم أدخل التنظيم وبعيد عن أي تكتلات ولا أريد العداوة مع أحد طوال العصور الثلاثة.

المبحث الثاني
إنشاء جهاز المخابرات

قبل الثورة كنت أعلم أن هناك تنظيم للضباط الأحرار ، وكما قلت لم أنضم لهم ولكنني كنت متعاطف معهم ومرت الأيام ولم أكن أعلم ماذا سيفعل هؤلاء الضباط وسمعت عن قيام الثورة كأي مواطن عادي وبقيت في عملي وفي مكاني أتابع الأمور ككاتب وكضابط بالجيش وبعد عدة شهور من السجال بين عبد الناصر ونجيب وانتهاء الأمر لصالح عبد الناصر أراد أن ينشئ جهاز المخابرات فعين زكريا محيي الدين رئيسًا لهذا الجهاز، وكان هذا الرجل من أكثر الناس خلقًا ودينًا وأدبًا فبعث لي وعندما قابلته قال لي «إن الرئيس أبلغنى أن تكون من ضمن الخمسة لإنشاء الجهاز لأنه جهاز يخص كل مناحي الحياة في الدولة، فقلت له أنا لا أصلح لهذا الجهاز.. فقال لي لماذا فقلت بصراحة «أنا بخاف من ربنا» وجهاز المخابرات هذا أنني أجلس مع ناس وبعدين أذهب وأكتب فيهم تقارير وأتسبب في أذى الناس، وأبلغته أننى لا أستطيع وأنا كنت دائمًا أقول «ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به» ويبدو أن هذه الكلمات وافقت ما في نفسه فقال لي «لازم تكون معانا في الجهاز» ، وقبل أن تقرر نذهب في زيارة إلى مبنى الجهاز وعندما ذهبت وجدته قد وضع لوحات تحمل آيات قرآنية وعبر وتخويف من إيذاء الناس وكان منها قوله تعالى «إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» فاسترحت نفسيًا وعدت إليه فقال لي نظرًا لأن لديك سبع مؤهلات عليا ولا يملكها أحد غيرك فأنت تمسك الصحافة.

***

إدارة الصحافة بجهاز المخابرات

وافقت على تولى إدارة الصحافة بجهاز المخابرات وهي الإدارة التي تعني بكل ما ينشر فى صحف العالم وله علاقة بمصر والوطن العربى والشرق الأوسط على العموم ، حيث نقوم بتحليل ما تنشره تلك الصحف وأرشفتها والرد عليها وكنت قد درست الإعلام ودرست شيء فيها يسمى «الحملة النفسية» وبعدها كنت أقابل عبد الناصر باعتبار أنني أعرفه من قبل وفي أحد المرات قال لي «أننا نريد إخراج الإنجليز من مصر .. إحنا عندنا فدائيين يتم تدريبهم وتوجيههم فى جهاز المخابرات بصورة غير مباشرة وبأشكال مختلفة في صورة بياعين أو نجارين أو عمال ويدخلوا المعسكرات ويضعوا القنابل وباقي شغل الفدائيين» فقلت له أنا عندي كتاب عن عمل الفدائيين (هو كتاب كنت قد عملته من فترة) ، وقلت له تفتكر ياريس إن هذا العمل الفدائي العظيم هو الذي سيخرج الإنجليز.. لقد سجن سعد زغلول باشا والنحاس ومحمد فريد ومصطفى كامل وقبض عليهم وكانوا يخرجوا في المظاهرات ويدعموا الفدائيين، ولكن هذا لم يخرج الإنجليز وأن هذه وسيلة لا تنفع الآن بمفردها.. وأرى أن نتركها كما هي ونعمل شيء آخر كويس بأن نعمل حملة نفسية تجعل الإنجليز هم الذين يطلبون الرحيل.

إذاعة موجهة للإنجليز من الصحراء

سألني الرئيس عبد الناصر عن الطريقة التي تجعل الإنجليز يطلبون الرحيل وكنت قد درست في الإعلام تأثير الحملات النفسية على الخسارة أو المكسب في الحروب .. فقلت له لقد وجدت محطة إذاعة في قصر عابدين لم تعمل كان الملك فاروق قد جهزها ووضعها للطوارئ وأنا فكرت أن نأخذ هذه المحطة ونجعلها في استديو في الصحراء، ونذيع باللغة الإنجليزية رسائل موجهة للجنود الإنجليز ووكالات الأنباء سوف ينقل هذا الكلام ونجعل هؤلاء الجنود والضباط هم الذين يضغطون على حكوماتهم لترك مصر أما أن تقاومهم فقط فهم إمبراطورية لديهم عساكر الدنيا والآخرة وقد جربنا المقاومة فقط فلنجرب الطريقة هذه.. وقلت له سوف أختار ثلاثة مذيعين معي وتحت إشرافي ونوجه نداءات للإنجليز نقول لهم فيها ما فائدة وجودكم وأنتم تموتون في القناة، ونتخذ اتجاه حضاري بأن نوصل إليهم رسالة بأن هذا ضد قرارات الأمم المتحدة عن الاستعمار والأفراد الذين سيموتون بلا هدف.. وعملنا أيضًا مسلسل رومانسي بسيط عن ضابط أمريكي مقيم في لندن ويقيم علاقة مع امرأة زوجها في القنال ، وقمنا بعمل مزيكا وحفلات وأصوات رومانسية لكي نوصل رسالة إلى الإنجليز الموجودين بالقناة أن بقائهم لا جدوى منه وأن زوجاتهم وأسرهم استحوذ عليها الأمريكيين.. فأثنى عبد الناصر على الفكرة فقلت أهم شيء أن لا يعلم أحد أين موقع المحطة إلا أنت وأنا وزكريا محيي الدين حتى الذين يعملون معنا في المخابرات فوافق على ذلك، وبدأت في جمع الفريق.

* وفي أحد الأيام وقبل أن نبدأ في مشروع الإذاعة فوجئت بشاب يدخل مكتبي بالمخابرات اسمه شريف كامل ابن أحمد باشا كامل ويقول والدي إقطاعي وأنا وطني أريد أن أذهب إلى القنال أو أعمل أي حاجة لبلدي فوجدت أن الولد وطني بالفعل وشكله أجنبي ويتكلم لغات فقررت أن يكون ضمن فريق الإذاعة السرية، واخترت رئيس تحرير «الجازييت» وتم تكوين الفريق وبدأنا نذيع أخبار ومسلسلات، ونقول مثلاً إن المكان الفلاني سيحدث به كذا ولم تكن المقاومة تعلم شيئًا عن هذه المحطة.. واستمر هذا العمل وكان السفير البريطاني يذهب للرئيس ويقول له إن هناك محطة إذاعة بتقول كذا وكذا وكان الرئيس يقول إنه لا يعلم شيئًا عن هذا واستمرت في عملها وكان لها أكبر الأثر إلى أن قرر الإنجليز الجلاء عن مصر عام 1956م، وبعد الجلاء أصدر عبد الناصر قرارًا نشر في النشرة العسكرية للقوات المسلحة «ترقية خاصة» يقول القرار «صودق على ترقية الضابط المذكور أدناه إلى رتبة القائمقام نظير خدمته الممتازة للجيش». وكنت وقتها بكباشى أركان حرب وعينني وقتها مديرًا لمصلحة الاستعلامات والتي كنت قد أنشأتها من قبل وكان قائد الجيش وقتها المشير عبد الحكيم عامر وقد عملوا وقتها استثناء لهذه الترقية وكان أول استثناء من الثورة، وأيضًا تم تعييني المتحدث الرسمي باسم الثورة قبل العدوان الثلاثى الذى جاء بعد قرار تأميم قناة السويس .

المبحث الثالث
عبد الناصر والأمريكان

بعد تكليفي بوزارة الثقافة من أجل إنقاذ أبوسمبل وبعد إقناعي للأمريكان بتمويـل المشـروع و في أحد زيارات الرئيس عبد الناصر لبورسعيد وصله أن السفير الأمريكي «في ظل الشـيوعيين» تعامل مع وزير التموين بصورة غير لائقة عندما سأله الوزير المصري عن معونة الزيت فقـال لـه الأمريكي أنتم أوقعتم طائرة أمريكاني كانت تقاوم الآفات وحرقتم مبنى السفارة ومنعتم المطافي من أن تأتي إلى المكان علشان كدا لن نعطيكم المعونة، وهذا ما وصل لعبـد الناصـر،فقال أمـام الإعلاميين بحماسة مع الجماهير «إذا كانت الولايات المتحدة لا تعجبها سياستنا... الـلي مـش عاجبه يشرب من البحر الأبيض يشرب من البحر الأحمر» وعندما سمعت ذلـك اتصـلت بـوزير التموين وسألته هل حدث هذا بالفعل فقـال لي «لم يحـدث فالسـفير وصـل فقلـت لـه »اشـرب الليمون فقال لا أستطيع لأن عندي برد.. وسألته عن المعونة فطلب منـي الانتظـار شـوية قـائلاً انتظروا لأن أنتم أوقعتم طائرة والجو هناك مش كويس« فسألته هل هو رفض قال «لا» وتم نقـل هذا الكلام بصورة مستفزة لعبد الناصر،وبعد عودة الـرئيس مـن بورسـعيد اتصـلت بـه السـاعة 11.30 مساءً وقلت له أن تصريحك اليوم جاء رد أمريكي عليه وأنا أريد الرد فقال رد ، فقلت له أن المعلومات التي وصلت لكم عن الموضوع غير صحيحة وحكيت له الواقعة بالضبط وقلـت أن رد الرئيس الأمريكي كان «حد عمل حاجة لرجل الشرق الأوسط

حتى يقول اللي مش عاجبه يشرب من البحر» وقلت له أنا أنامش عارف أرد فقال لي هل أنت متأكد فقلت له أنا متأكد من وزير التموين فقال لي تعرف السفير قلت نعم ، فقال أرسل له لمقابلتك غدًا الساعة 6 في البيت وجاء السفير وقلت له أنت لم تشرب الليمون وهو ما دفع لأخذ القرار بهذا الشكل ،فقال السفير أنا قلت للوزير لا أستطيع أن أشرب الليمون لأن عندي برد وأن الوزير نزل بنفسه حتى السيارة ليوصلني، فهل أنا أهنت الوزير أو أهنت مصر، واتصلت بالرئيس أثناء تواجد السفير معي وقلت له بالإنجليزية أن السفير الأمريكي يقول كذا وكذا من أجل أن يسمع السفير.

وهنا أتذكر معنى الحديث الشريف «أن الله جعل بجوار الخليفة جماعتين جماعة خير وجماعة شر، فجماعة الخير تدل على الخير ليتبعه وجماعة الشر تدل على الشر ليتبعه والله هو الذي يرشده للخير».

دبلوماسية الرد

كان لي أستاذ إنجليزي في جامعة لندن وسألته ذات مرة أنني أتعرض أحيانًا لأسئلة محرجة لا أريد الإجابة عنها فماذا أفعل؟ فقال لي لا تجيب فقلت له قد لا أستطيع فقال قل لا تعليق قلت له قد لا ينفع ذلك فقال قل « no answer in my answer» أو قل «رأي رأيك».وفي أحد المرات جاء الدكتور أحمد كمال أبو المجد إلى أحد الأفراح و كان وزيرًا وقال له السادات أن الذي عينك وزير هو حاتم أستاذك فسألنى قائلاً ما رأيك في الإعلام الآن يا دكتور حاتم فقلت له «رأي رأيك».

مسؤولية الوزارة

الوزارة والعمل العام مسؤولية لم أكن أفرح بها وكنت أضعها أنني خادم للشعب نفسه، وكـان هدفي أن أخدم بلدي وأنا خدمت بلدي فمن يسعى ليكون رئيس جمهورية يجب أن تكـون طاقتـه تتحمل ذلك،فقد كان الرئيس عبد الناصر همه الأول توفير السكن والأكل والتعليم مجانًـا لكـل مواطن، و أقسم بالله أنني أحيانا أجد عبد الناصر يعينني وزيرًا في مكان لا أعلم عنه شـيئًا وأكـون معه ويقول لي اكتب يا دكتور حاتم.

المبحث الرابع
بريطانيا تؤبن عبد الناصر

عبد الناصر قيمة وطنية عالمية اعترف بها الأعداء قبل الأصدقاء.. وسأذكر قصة تدعم هذا الرأي بكل صدق. كنت في لندن قبل ذكري الأربعين لوفاته، واتصل بي صديقي «كريستوفر ماهيو» وزير البحرية البريطانية، وأخبرني بأنه تقرر إقامة حفل تأبين لعبد الناصر بمجلس العموم البريطاني يوم ذكري الأربعين الموافق 7 نوفمبر 1970، وطلب مني الحضور بملابس الحداد وكرافتة سوداء، وعندما دخلت القاعة الرئيسية للمجلس وجدت جميع الحاضرين يرتدون ملابس سوداء ويضعون علي صدورهم الشارات السوداء!

بدأ حفل التأبين وتحدث أحد النواب قائلا: إننا نؤبن اليوم عبد الناصر.. لأنه لم يكن عدوا لنا.. بل كنا نحن البريطانيين حكومة وصحافة أعداء لعبد الناصر، فقد نصحنا بعدم شن العدوان الثلاثي علي وطنه، ولكننا لم نستمع له، فضاعت الإمبراطورية التي كانت لا تغيب عنها الشمس ! وقال نائب آخر : إننا نذكر عبدالناصر.. وتفخر الوطنية في كل أنحاء العالم بأنه قيمة وطنية وبطل وطني كان يحافظ علي استقلال بلاده من كل من يعتدي علي حرية وكرامة وأرض الأمة العربية التي كان قائدا لها.. يعمل بما قررته الأمم المتحدة.. كان جمال عبد الناصر قيمة ليس للعرب فقط، بل لكل دول العالم التي تناضل وتكافح أمام أقوي القوي الدولية!

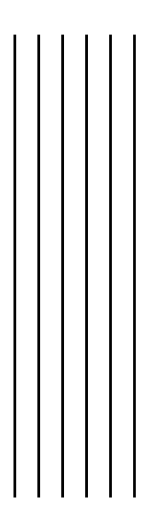
قيمة وطنية عالمية

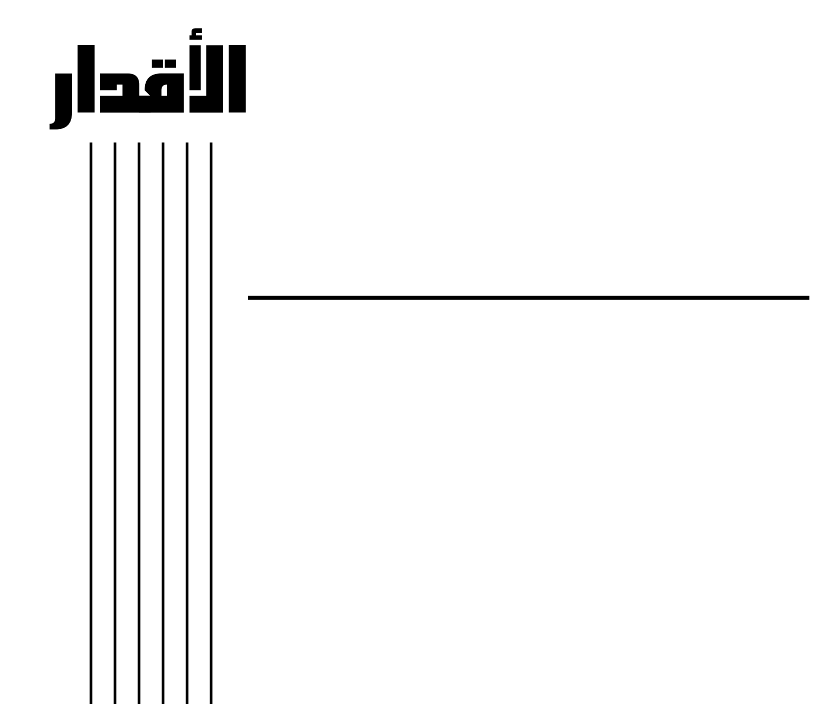
ثم طلب الوزير «كريستوفر ماهيو» مني أن أصعد إلي منصة التأبين وألقي بكلمات الرثاء للفقيد العظيم، فوقفت أمام الميكروفون نحو دقيقتين «بدون كلام» متأثرا لهذا الموقف الجليل الذي يقفه البريطانيون اليوم من عبد الناصر «عدوهم الأول في المنطقة» وإذا بكل الحاضرين يقفون ظنا منهم أنني أقف دقيقة حداد علي روح عبدالناصر، وأخيرا قلت لهم: رغم أنني كنت المتحدث الرسمي لثورة مصر أيام العدوان الثلاثي فإنني أجد صعوبة في الحديث عن هذا الموقف الكبير، لأنني أري بريطانيا عدوة عبدالناصر في عام 1956 تقف اليوم وبكل ما تمتلكه من حضارة وإنسانية تؤبن عبدالناصر كقيمة وطنية عالمية.. ياليت روح عبد الناصر تكون معنا في هذه القاعة لتري بريطانيا زعيمة الديمقراطية، وصحافتها التي كان دائم الشكوي منها.. وهي مجللة بالسواد حزنا ورثاء لغياب عبدالناصر.

لم يكن نرجسيا

مازلت أذكر هذه القصة عندما كنت مديرا لمكتبه: جاءني وفد من الأرجنتين وطلب مقابلة عبدالناصر، فأخبرته بأنهم «ناصريون» ولأول مرة في حياته يسمع هذا التعبير NASSERiSM وسألني مستغربا: ماذا يقصدون أجبته : ياريس يوجد في العالم عدة حركات تحررية مستمدة قوتها وكفاحها من رواد وثوار لهم مبادئ تنشدها الشعوب. فقال وهو يقاطعني: أرجو ألا أسمع عن كلمة «الناصرية» إطلاقا! ومات عبد الناصر وكنت وزيرا لإعلامه، ولم استخدم هذه الكلمة إلا في يوم ذكري الأربعين لوفاته، حيث كتبت مقالا عنه وعن الناصرية قلت فيه إذا كان عبدالناصر لم يستخدم كلمة 'الناصرية' في حياته، فإنها ستصبح مبدأ سياسيا مهما، وسينتشر بعد وفاته!!

الفصل الرابع
الجمهورية العربية المتحدة





المبحث الأول
العدوان الثلاثي على مصر

*النصر السياسى والإعلامى الذى تحقق لمصر بعد العدوان الثلاثي عام 1956،كان مبهـرا فى هذا الوقت الذى كانت كل شعوب المنطقة تترقب ما يحدث فى مصـر بعـد الثـورة ، التـى مـا تزال فى أولى مراحل طفولتها ، وكانت معظم دول المنطقة إما مازالت ترزح تحت نير الاحـتلال أو تحررت حديثا وما زالت تتحسس الخطى نحو المسـتقبل ، فكانـت التجربـة المصـرية مثـار اهتمامهم وعندما تحقق لها النصر السياسى والإعلامى وانـدحرت جيـوش ثـلاث دول كبـرى وبقيت الثورة ،

فقد كان هدف العدوان هو إعـادة المنطقـة إلى مـا كـانوا يسـمونه المسـتعمرات إلى الـدول المستعمرة ،بأن تعود إنجلترا إلى مصر وفرنسـا للجزائـر ووجـدت إسـرائيل فى تلـك الأوضـاع فرصة لكى تجد لها دور فى المنطقة فدخلت معهم، وكان قرار التأميم أهم الذرائع لديهم.

* بعد إعلان عبد الناصر قرار التأميم ذهب إلى منزله الساعة 12 مساءً وكان بجـوار منـزلي في الإسكندرية ، فاتصل يسألنى عن رد الفعل بعد خطاب التأميم ، فقلت له أول رد فعـل جـاء مـن «إيدن» رئيس وزراء بريطانيا نفسه يقول « هذا الديكتاتور الصغير سأعلمه أنه يضر بـلاده ضـررًا شديدًا لأنني قررت تجويع الشعب المصري» فسألنى وماذا فعلت ؟ فقلت له أنا عملت مسـوده قرار «تصريح» أقول فيه « صرح المتحدث الرسمي البريطانى أن المستر «إيدن»

قال كذا وكذا وأنه سيجوع الشعب المصري، ويبدو أن المستر «إيدن» يعتقد أن مصر كالجزائر الفرنسية تعتمد على الاستيراد من الخارج فهذا غير صحيح فمصر لديها النيل الذي يوفر لها الكفاية الاقتصادية والأمن الغذائي وليس لي أن أقول أكثر من هذا «ولم أشتم «إيدن» فقال لي الرئيس عبد الناصر وهل نشرته، فقلت له لم أنشره و أردت أن عرضه عليكم قبل نشره وإذاعته ، فقال لي أنشره،وما أن نشرنا الرد حتى بدأت الدول الثلاث فى تنفيذ المخطط لاستعادة مستعمراتها القديمة وبدؤوا الهجوم والإنزال.

* لم تكن لمصر فى هذا الوقت جيوش فى سيناء ونزلت الثلاثة الجيوش المعادية على طول القناة– الإنجليز في بورسعيد والفرنساويين والإسرائيليين نزلوا بالقرب من الإسماعيلية... ولعب الإعلام دورا كبيرا فى تحقيق النصر السياسى ..فقد استطعنا في تلك الأيام «عولمة الإعلام المصري» ولم يكن هناك عولمة وقتها، فقد كانت حرب 1956 ليست المسألة المصرية فقط ، بل استطعنا تسويق أن الحرب ليست مجرد اعتداء على مصر ، وإنما هو اعتداء على الشرعية الدولية التى يتحدث عنها العالم منذ تأسيس الأمم المتحدة والتى كنا أحد مؤسسيها ، وأن الاعتداء هو على قرارات الأمم المتحدة فى المقام الأول ، والتى تكرس لحق الشعوب فى أن تعيش حرة مستقلة والتى هى أهم بنود حقوق الإنسان ، واندلعت المظاهرات المؤيدة لمصر في الكثير من دول العالم مثل الهند واليابان والصين والعديد من الدول والبلاد العربية.

ضرب الإذاعة المصرية

قبل الحرب طلب منى الرئيس عبد الناصر أن أذهب لفرنسا لمقابلة وزير الخارجية هناك ، لأن فرنسا كانت قد بعثت باحتجاجات بأن الإذاعة المصرية تقوم بدعم المقاومة الجزائرية ، وكلفنى الرئيس بأن أبلغه بأننى المسئول عن الإذاعة المصرية ، وبالفعل ذهبت إلى هناك وتقابلت مع وزير الخارجية الفرنسى فقال لي« أنت تقول ننسحب من الجزائر وقمت بتهييج الشعب الجزائري كله في إعلامك وتقولوا مليون شهيد وغير ذلك ،وهل أحصيتم الـ مليون شهيد ، يجب أن تعلموا أن الجزائر هي أرض فرنسية ، وليس لكم ولا لهم حق فيها ، فنحن الذين صنعنا هذه الأرض ثقافيًا وأنشأنا فيها كل شيء» فقلت له «إنه من الأفضل لفرنسا أن تترك الجزائر والجزائريين أصدقاء وبهم الثقافة الفرنسية ومبادئ حقوق الإنسان التي نادت بها الثورة الفرنسية في عام 1889م ، وأن تكون هناك صداقة بلا دماء بين الشعبين وعلاقة ودية أبدية» فقال لي« لو تماديتم في إعلامكم ضدنا في الجزائر سنضرب صوت العرب ونسكت صوتها » وسجلت فى أوراقى كل الملاحظات التى جاءت فى هذا اللقاء ،ومن بينها أنهم سيقومون بضرب إذاعة صوت العرب،وأخذت تلك التهديدات على محمل الجد،و عندما اندلعت حرب 1956 كان من أوائل أهدافهم إسكات صوت العرب ، وقبل نزولهم بأيام أذاعوا إنذار للمواطنين بأنهم سيقومون بضرب صوت العرب وكان هذا الإنذار يوم الثلاثاء وعبد الناصر سيخطب يوم الجمعة، وبالفعل تم ضرب صوت العرب فقال لي الرئيس عبد الناصر« هل رأيت ملناش صوت خالص» فقلت له أنا عندي محطة سرية سوف أذيع منها،

فسألني : كيف عرفت أن صوت العرب ستضرب وعملت حسابك؟ فقلت له عندما أرسلتني إلى فرنسا قبل الحرب علمت ذلك من وزير الخارجية كنوع من التهديد الذى أخذته على محمل الجد... وعندما حدثت الحرب وتوالت الأحداث اتصلت بلبنان وسوريا وأخذوا يذيعون صوت العرب من لبنان وصوت العرب من دمشق، وخطب عبد الناصر في يوم الجمعة المقرر «سنحارب ... سنحارب ... سنحارب» وهنا انبهر العرب من انتصارنا السياسي في 1956، واستطعنا التواصل مع عدد كبير من أجهزة الإعلام المعارضة في العالم وكنت أعطيهم المعلومات عن الحالة ،ونقلت لهم الصورة التى نريد إيصالها للعالم ، وأن العدوان هو اعتداء على قرارات الأمم المتحدة وأنهم يقتلون الأطفال والنساء ويهدموا الكنائس والمساجد بمعنى أن العملية أصبحت عالمية.. ووقتها ظهر الرئيس الفرنسي والذي كان يلقى معارضة شديدة بسبب الحرب على مصر وقال للجمعية الوطنية« لماذا تهاجموني بسبب الحرب على مصر، فالجيش رفع العلم الفرنسي في الإسماعيلية وهلل الجميع » وعلمت بما قاله وكان بمصر عدد كبير من الصحف والوكالات والإذاعات الأجنبية ومعظمهم تربطنى بهم صداقات وعلاقات وطيده وكنت قد عملت لهم ناد خاص بهم، وكنت أذهب للعشاء معهم وأَعلمهم بآخر الأخبار وكانوا يتحدثون لي في أي وقت وكان من بينهم مندوب الوكالة الفرنسية فسألته عما قاله الرئيس الفرنسى ،وأخبرته بأن عندي الآن سيارتين أتوبيس ستأخذ كل الصحفيين وأنا معكم ونعمل جولة صحفية في الإسماعيلية حتى تروا مبنى قناة السويس وما إن كان عليه العلم الفرنسي أم المصرى، ولا أريد منكم إلا أن تقولوا الحقيقة

وإذا لم تروا العلم الفرنسى فوق مبنى قناة السويس فقولوا« أن هذا الرجل يكذب على شعبه » وذهبنا في ساعة ونصف وكان الرئيس الفرنسي مازال يخطب ويقول أن فرنسا دخلت الإسماعيلية وبعد وصولي والصحفيين إلى الإسماعيلية و إلى مبنى قناة السويس اتصل بهم مندوب الوكالة الفرنسية وقال لهم « لقد ذهبنا أناو100 صحفي من جميع أنحاء العالم للبحث عن العلم الفرنسى في الإسماعيلية ومبنى قناة السويس فلم نجد شيئًا، وقال مندوب الوكالة الفرنسية في رسالته لرئيس الجمعية الوطنية » بصفتك رئيس الجمعية الوطنية فأنا ومعي 100 صحفي نقول لك «كذاب كذاب كذاب» ونرجو إعلان ذلك في الجمعية الوطنية وبعد نصف ساعة وجدنا كل الوكالة تقول أنه أخذ الرسالة وقرأها وقال لهم إن العالم كله يقول «أن جي موليه كذاب كذاب كذاب» واشتد الهجوم عليه واندلعت المظاهرات وبعدها انتهى جي موليه وسقط.

المبحث الثاني
سوريا تعرض الوحدة

ما إن انتهت حرب 1956 وبروز دور مصر إلا و جاء «القوتلي»من سوريا إلى الرئيس عبد الناصر وعرض عليه الوحدة وأقنعه بذلك ، ويبدو أن القوتلي كان يريد الخلاص إلى أن وافق عبد الناصر وتم توقيع بروتوكول الوحدة وبعد التوقيع من الجانبين ربت القوتلي على كتف جمال عبد الناصر وقال له «مبروك عندك 500 زعيم في سوريا» وفي أول زيارة لعبد الناصر إلى دمشق بعد توقيع بروتوكول الوحدة وجدنا حب ما بعده حب بمجرد وصولنا بالطائرة إلى مطار دمشق وحملت الجماهير الغفيرة الرئيس عبد الناصر على الأعناق من المطار هذا بجانب الملايين التي كانت تملأ الشوارع بحماس غير مسبوق وتم تعييني وزير مصر وسوريا للإعلام وبعدها مباشرة أنشأت محطتى تلفزيون في دمشق وحلب.

*على الرغم من هذا الاستقبال الحاشد وهذا الحب الجارف إلا أن الأمر أزعج القوى الكبرى ، وكانت هناك جماعة ضد الوحدة يدعمهم الإتحاد السوفيتي والذي قال رئيسه «خرشوف» في ذلك الوقت في تصريح سياسي ضد عبد الناصر قال فيه «هذا الديكتاتور الصغير سنعلمه أن هناك مناطق يجب ألا يصل إليها.. وأخذ يتهكم على عبدالناصر» «وأبلغت الرئيس بما قاله وكان وقتها في سوريا وأنا في القاهرة ، وبمجرد أن انتهيت قال لي عبدالناصر يا دكتور حاتم جميع الإذاعات الموجهة تتحول إلى سوريا الآن لأنني سأخطب،

وخطب عبد الناصر ضد خرشوف بلهجة عنيفة قائلاً «كنا نعتقد أنكم أصدقاء ولكنكم تريدون احتلال الشعوب» وهاجمه بشدة.

* كان لي رأي في الوحدة وقلته للرئيس عبدالناصر وقلت له أن العادات والتقاليد في قرية صغيرة تختلف عن باقي محافظات مصر، ولكل بلد تقاليد مختلفة ولا يمكن أن تأتي بشخص من بلد أخرى وتقول له أنت رئيس هذا البلد، فالعلاقات الإنسانية هي كل شيء ودائمًا في السياسة يقولون أنظر إلى أمراض الناس الذين تعمل معهم وعالجهم وتعرف على مشاكلهم وكل شيء ، وهذا يدفعنى للقول ،أن الوحدة يجب أن تكون مبنية على ابن البلد الذي يفهمها.

المبحث الثالث
وزير إعلام الجمهورية العربية المتحدة

زيارتى الأولى لإذاعة دمشق

* لا ينكر أحد أهمية الوحدة بالنسبة للعالم العربي كله ولكن أن تجعل الوحدة بين بلدين برئيس واحد على شعبين ينتج عنه خطأ كبير ، لأنه لا يعرف خبايا وتقاليد وظروف هذا البلد وأن ما يصلح هنا قد لا يصلح هناك وهذا ليس كلاما جديدا أقوله من تلقاء نفسى وإنما هو ما فعله كبار علماء ء الدين فقد كانت الفتوى تختلف فى مسألة واحدة إذا نقلت تلك المسألة من العراق إلى مصر والعكس وليس معن الاختلاف أنها خرجت عن نطاق الشرع ، بل الأعراف والتقاليد تختلف من جنوب مصر عن شماله ، وهذا ما كان يجب مراعاته فى تجربة الوحدة التى حدثت بين مصر وسوريا ،..

* في زيارتى الأولى للإذاعة السورية ،عندما كنت وزير إعلام الوحدة و التي من المفترض أنها تحت قيادتي ، ذهبت إلى المبنى وكان مجلس الإذاعة موجود وأثناء وجودنا فوجئت بمذيع يأتي على باب المجلس ويطرق الباب بقدمه ويدخل قائلاً «أنتم مش داريين إحنا نظلم في أيام الوحدة دول ناس ظلمة وإزاي يحصل كدا ، وأخذ يصيح فقلت له اهدأ نحن في مجلس وطلبت ممن كان معي أن يتعرفوا على طلباته حتى ننتهي من ا لمجلس ونعرف ما هو القرار وأثناء خروجه قال «أيوه كدا» وذهب مع الشئون القانونية ، وأنا جلست أفكر طوال اليوم دون حديث، وأخذ أعضاء المجلس يتحدثون كيف لواحد أن يتجرأ ويهين المجلس ويقولون «من يهن يسهل الهوان عليه... وأنا جالس أسمع هذا الكلام

وبعد ذلك أخذت أستشيرهم ما هو القرار فسكت الجميع وإنتظروا منى القرار فلم أتكلم ، وبدأت أعرض باقي أوراق المجلس (جدول الأعمال) وكان التفكير في الأمر يشغلني كثيرًا وأسأل ماذا لو جاء القرار بفصل هذا المذيع.؟. سيكون هذا أول قرار من مصري وسوف يهيج له الرأي العام.. وأخذ الأعضاء يتكلمون ويتناقشون في موضوعات مالية وأنا أعيش بشكل كبير في الموضوع وأقول هم الآن وبدون شيء بيشتموا في مصر، فقلت ياربي الجأ إليك في هذا الأمر وما إن انتهى المجلس وقبل أن نتحرك دخل رمزي الشوربجي مسئول الشئون القانونية ومعه القرار الخاص بالمذيع من الناحية القانونية فوجدت أن القرار به 15 يوم خصم وهو شيء سيء جدا لو عرف..فألهمنى الله فقلت للمجلس نحن في أول جلسة لإتحاد الإذاعة والتلفزيون في ظل الوحدة التي نسعى إليها ونعمل على تقدمها ، فأرى أنه من الواجب أن أذكر رئيس هيئة الإذاعة والتلفزيون في دمشق الأمير شهاب وأريد أن أهنئه فقد قررت قرار وزاري مني بأن أمنحه سلطة وزير الإعلام في دمشق،وبذلك يكون له حق المكافئات وحق الجزاءات «مبروك ... مبروك» ودخل أحد الموظفين يقول يا فندم مبروك فقلت له هنأ الأمير شهاب،وقد خلصت من هذا الموقف بنقطة هامة أن الحكم يجب أن يكون لا مركزيًا وأن يكون هذا هو الأساس، ودخل المذيع السوري في خلافات مع الرجل الجديد الذي فوضته.

* وتعرضت لموقف آخر أثناء الوحدة ففي أحد المرات وأنا في سوريا وكان عبد الناصر وقتها يُحمل على الأعناق جاءني تليفون من شكري القوتلي وطلب مني مقابلته في مكتبه، وذهبت إلى هناك ووجدت ثلاثة من الوزراء ممن كنت أسمع عنهم أيام النحاس باشا وقال لي القوتلي أنهم يريدون مقابلة الرئيس فطلبت الرئيس عبد الناصر وقلت له أن القوتلي والوزراء الثلاثة يريدون مقابلتك ، فطلب مني أن أجلس معهم وأعرف ماذا يريدون حتى يكون لدينا فكرة، ففعلت ما طلبه الرئيس، فقالوا أنتم لا تعرفون سوريا كويس ،فرددت عليهم وأنتم لا تعرفون مصر كويس، فقالوا نحن نعرف، فسألتهم عن الأمر ، فأجابوا أنتم قمتم بتعيين وزراء،ومنهم وزير تم تعيينه منذ يومين وسوريا كلها تتحدث عن أفعاله ،فأثناء تحركه بموكبه في أحد الشوارع وكان إشارة المرور مغلقه نزل من الموكب وخلع الجاكيت وضرب ضابط المرور بالقلم على وجهه، وسألوني كيف اخترتم هذا الرجل ، فقلت لهم الرئيس هو الذي يختار فقالوا وبصفتك وزير إعلام كيف تختاروا واحد يضرب بالقلم فما هي صفته؟ فقلت لهم إنه زميل وأنا لا أستطيع الحديث عنه، فسألونى عن رأي بصفة خاصة ، فقلت لهم بصفة خاصة أجيبكم هو رجل طيب،وما أن قلت رجل طيب إلا والثلاثة انفعلوا وقالوا لي «شو طيب» جوزوا بنتك طالما هو طيب ،وهذا يترجم ما قاله القوتلى لعبد الناصر عند التوقيع على اتفاقية الوحدة «مبروك عليك ..سوريا بها 500 زعيم»،حيث أن الوحدة كانت تحمل بداخلها عوامل تقويضها.

المبحث الرابع
المشير والسراج نائب الرئيس

أثناء وجودي في سوريا عملت أن هناك خلاف بين عبد الحميد سراح وبين المشير فأردت الدخول عند عبد الحميد السراج وكان نائبًا لرئيس الجمهورية فمنعني الحارس ، فطلبت أن يبلغه بأننى بالخارج وسمح لي بالدخول وعندما دخلت سألنى «انتوا جايين تستعمرونا وأخذ يزيد في الكلام» فقلت له «بهذا الكلام انت تخسر الرئيس الذى أحبك وجعلك نائب لرئيس الجمهورية »وكان السراج قد أبدى وطنية وحب للوحدة عندما أبلغ الرئيس عبد الناصر عمن يعملون ضد الوحدة وأنهم دفعوا له أموالا طائلة ليعمل معهم على تقويض الوحدة .. وقلت له إن عبد الناصر لم ينقصك قدرك «فاشتكى لى من المشير عامر وأخذ يعدد المشاكل معه، وتركت مكتب السراج والهواجس تدور فى رأسى فما أن ينتهى موقف أو أزمة إلا وتنشأ أزمة أخرى ، وطلبت الرئيس عبد الناصر الساعة 12 مساءً وأبلغته أننى أرى أن الوحدة فى خطر وشرحت له ما حدث بين وبين السراج ، وأنه على خلاف مع المشير وكيف يكون اثنين حكام موجودين في مكان واحد على خلاف فالموضوع ممكن أن تزداد خطورته ويصبح سوري ومصري، وأرى أن الأمر إذا ترك سيصبح خطير جدًا.

بعد أن أبلغت الرئيس بالأمر قال لي »أطلب طائرة مـن المشـير وأبلـغ عبـد الحميـد السـراج والمشير عامر أن يأتوا معك في تلك الطائرة على الفور« فأبلغت السراج فقال فـرفض فأقنعتـه أن يأتى إلى القاهرة حتى لا يخسر الرئيس فوافق ، وجاء الاثنان إلى الطـائرة ووصـلنا إلى القـاهرة في الثانية بعد منتصف الليل وأبلغت الرئيس فطلب أن ننام بعض الوقت قبـل أن نتحـدث وبالفعـل الساعة 5 صباحًا طلبني الرئيس وتحدثت معه وقلت له إن حكم سوريا يختلف عن حكم مصـر وأن لكل شيء سببًا، وقلت له سيادتك من بني مر بأسيوط وعشت في الإسكندرية هل المعاملـة في بني مر هي نفس المعاملة في الإسكندرية بالطبع لا، فإن الناس هنا تختلف عن الناس هناك في العادات والتقاليد وأن الله قد خلق الناس قبائل وشعوب للتعارف، والخلاصة أن نظـام الوحـدة التي يجب أن يكون مثل نظام الوحدة الأوروبية أو الفيدرالية.

المبحث الخامس
متطلبات الوحدة

عملية الوحدة يجب أن تسبقها المحبة ، وأن تسبق الوحدة الاقتصادية الوحدة السياسية وأن نقوم بعمل شركات برؤؤس أموال مشتركة ، وهذا أفضل فى البداية من أن نبدأ بالوحدة السياسية لان الوحدة الاقتصادية توجد نوعا من تشابك المصالح الحقيقية ، وهنا يمكن أن نبنى عليها فالوحدة عملية صعبة وأنا عندي تجارب كثير في عملية الوحدة وأسباب فشلها، فهناك أشياء يجب أن نفكر فيها قبل أن نسرع إلى الوحدة بأن نرى ما الذي يتلائم مع الجميع ،ولو رجعنا للإسلام فإن الله وضع رسالته واختار النبي عليه الصلاة والسلام ومن صفاته الصادق الأمين وبعد ذلك وجدنا المذاهب الأربعة وكلهم مؤمنين بالأصول الدينية ولكن الفروع تختلف ،وهذا التنوع هو الديمقراطية الحقيقية بمعنى أنه يجوز كلام الشافعي في العراق ولا يصلح في مصر، فبعدما تعرض للحبس والتعذيب فى العراق وجاء إلى مصر قال لابنه »لو سألك الخليفة عن شيء إن سمعه تحدث منه إساءة كبيرة وكان يجب أن تقول له الحقيقة فقلها ولكن بأسلوب آخر بأن تقول له «إن الناس يقولون كذا وكذا..» وهذا بلاغ ولا حرج فيه، إذا التنوع في الإسلام ضرورة من الضروريات فهذا مالكي وهذا شافعي وآخر حنبلي حسب ظروف وحالات كل بلد فالتنوع مختلف ولكن الأصول ثابتة، وقد جاء الإسلام بالوسطية، وقد قال أرسطو في العهود القديمة «الفضيلة إذا زادت أو قلت عن حدها تصبح رزيلة»

فالإسلام حدد الأسلوب الوسطى لأنه يعلم حاجات الناس وفي الوقت ذاته لو أننا أتبعنا هـذا الأسلوب حتى في النقد في صحافتنا لتغير ت حياتنـا ، فـالقرآن لا يُحـارب بالشـتائم بـل ينـاقش بالحجة والمنطق، والمسيح عليه السلام يقول «أحبوا أعدائكم فإن أحببتم أحبـابكم فهـذا لـيس فضل» فمن المفترض أن نعرف أساليب التنوع وهي مهمة جدًا.

* وأرى أن الوحدة يجب أن تكون نابعة من رغبة الشعوب لأن هناك مبدأ إسلامي أقوى مـن الديمقراطية وهو مبدأ الشورى بمعنى أن يختار الناس حاكمهم، أو يطرح عليهم ليوافقوا عليه أم لا، وكذا عندما يختار الحاكم من ينوبون عنـه يجـب أن يستشـير النـاس مـن أصـحاب الـذكر، فالشورى مبدأ ديمقراطي عظيم.

العملة النقدية أساس الوحدة

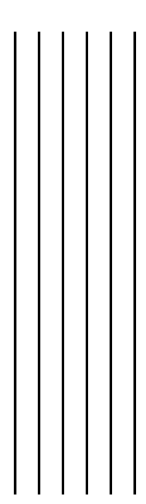
وجدت من خلال دراستى الاقتصادية أن «النقـد» أو العملـة هـي أسـاس عمليـة الوحـدة أو الاندماج، فعملت دراسات حول العملة العربيـة الموحـدة فى الخمسـينات وسـميتها « الـدينار العربي » فلابد أن يتم الاتفاق على عملة موحدة فى البداية وقبل الحديث عـن أى شـىء وهـذا لا يعنى إلغاء الكيانات الاقتصادية المكونة للكيان الإقتصادى الأكبر، سألت تاتشـر رئيسـة وزراء بريطانيا ذات مرة لماذا لم تغيروا الإسترليني مـع الوحـدة النقديـة للاتحـاد الأوروبـي ؟ فقالـت «الإسترليني هذا أعز شيء لدينا.. وهم عملوا اليورو» فانظر اليوم اليورو يتراجع والإسترليني يصعد إذن يجب معرفة ظروف كل بلد

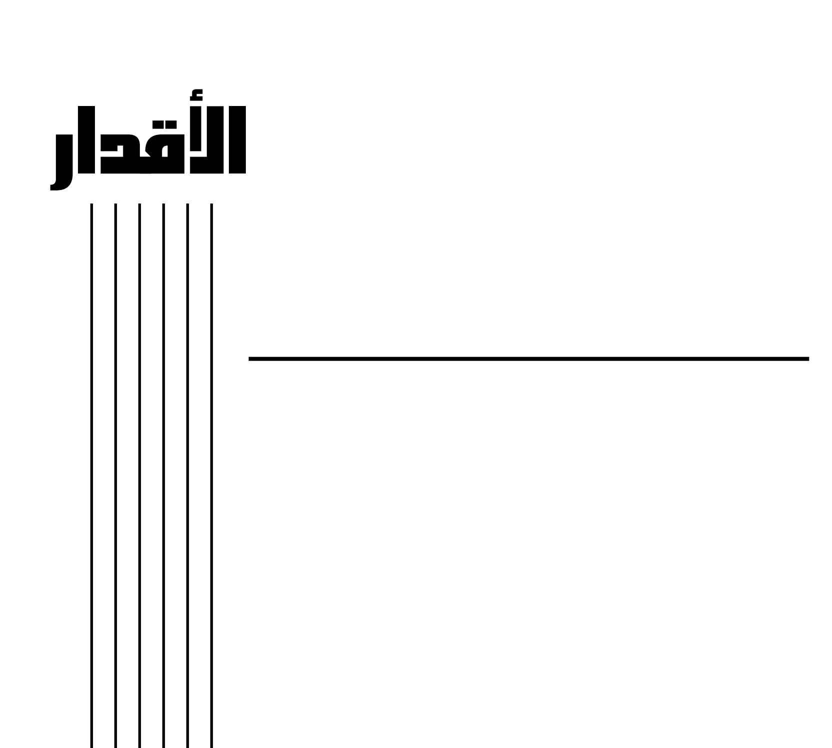
وقالت لي «ديجول كان يريد دخلونا في العملة الموحدة وأنا اتبع ما قا لـه تشرشـل «إحنـا معـاك ولكننا لسنا أنت» فإحنا كعرب أهلا وسهلا بالوحدة ولكن وفقا للظروف و العادات والتقاليد لكـل بلد، فنحن كبلد مصري لا نحب القتل على المثال وتحضرني هنا واقعة، كان يسكن بجواري مسـتر «هولدنج» وكان مندوب التايمز البريطانية بالقاهرة وكنت وقتها وزير إعلام وكـان يـزورني ويعـرف الأخبار وفي يوم من الأيام قتل في طريق صلاح سالم وهو قادم من الأردن وزوجته سافرت، وعنـدما ذهبت إلى لندن ، كان هناك وزير صديقي فقلت له أريد زيارة زوجة «هولدنج» وقلت لها أنـا أسـف لوفاة مستر هولدنج في مصر وعلى يد مصريين، فقالت لي الذي قتلوه ليسو مصريين، فهولـدنج كـان يعرف فدائيين في الأردن وفى طريق عودتـه للقـاهرة ،استقل تاكسـي مـن مطـار القـاهرة إلى منزلـه بالزمالك فذهبوا خلفه وقتلوه، فهؤلاء الذين قتلوه ليسوا مصـريين، فقلـت لهـا احتمـال أن يكونـوا لصوص فقالت «تم العثور على محفظته ملقـاة عـلى الأرض فالمصـري لا يقتـل وإنمـا هـو بيكـون جوعان وعندما تقاومه يقتلك، فلو قتله ليأخذ نقوده فى هذه الحالة يبقى مصري.. لكنه ليس مصري وأنظر إلى المحفظة.

مشروع الوحدة مع ليبيا

طلب القذافي من السادات الوحدة وكـرر طلبـه، فكلفنـى الـرئيس السـادات عـلى رأس وفـد بالذهاب إلى ليبيا ،وكان الوفد يضم كلا من ممـدوح سـالم وكمـال أبـو المجـد ، وجلسـنا مـع القذافي وفى بداية حديثه ذكر القذافى الرئيس جمال عبد الناصر وأخبرنا بـأن عبـد الناصـر قـال لـه «أنت أمين الوحدة العربية » فقلت له أن كلام عبد الناصر كبير جدًا واتفقنا على كل شيء وعزمنـا العودة للقاهرة لإبلاغ السادات بما تم ، وقبـل مغادرتنـا العاصـمة الليبيـة سـألنى القـذافى بعـد الاتفاق .. من هو رئيس الوزراء ؟ وكانت الطائرة في انتظارنا بعد أن اتفقنا على رفع علم الوحـدة على الحدود ويأتي السادات والقذافي، فقلت له هذا هو التليفون وطلبت السادات وقلت له سيادة العقيد يقول من هو رئيس الوزراء فقال لي السادات أبلغه أنه الدكتور عبد القادر حاتم فقلـت لـه هو يقول الدكتور عبد القادر حاتم، فأبلغنى أنه لا يوافق فقلت أنا لا أعرف ماذا لديكم فقـال لي «هناك جماهيرية يجب أن تحكم» وقال لي من هو القائد فقلت له أن الذي يعين القائـد العـام هـو الرئيس القائد الأعلى فقـال أنـا القائـد العـام للقـوات المسـلحة «فقلـت لـه أرى أننـا دخلنـا في موضوعات أنا لا أستطيع السير فيها. وكانت تلك المفاوضات والاتفاقات قـد اسـتمرت لمـدة أربعة أيام وضعنا خلالها كل شيء فاستأذنت العقيد القذافى وسـافرنا إلى القـاهرة وانتهـى الأمـر ولو تمت تلك الوحدة لوقعنا في مشاكل كبيرة لا حصر لها أما الآن فتربطنا علاقة الود والمحبة.

الفصل الخامس
أنا والشيوعية





المبحث الأول
سبب الشيوعية في مصر

* عانى المصريون أكثر من سبعة عقود من الإقطاع وتركز الثروة فى يد فئة قليلة من البشر يملكون الأرض وما عليها يزرعون ويحصد غيرهم، وعندما جاءت الثورة ورفعت شعار العدالة الاجتماعية وأصبحت الملكية للحكومة شعر المصريين البسطاء بأنهم بشر وليسو عبيدا ، ولذلك كان في رأي الناس أن الاشتراكية هي أفضل شيء وإن لم يعرفوا معناها ، فهناك 29 نوع من الاشتراكية منها الاشتراكية النقابية التي أنشأها موسوليني واشتراكية الدول الاسكندينافية، والاشتراكية المسيحية والديمقراطية الاشتراكية الموجودة في ألمانيا الآن، وفي مصر انتهزوا تلك الفرصة عندما كانت هناك علاقات مع روسيا وقالوا نعمل اشتراكية واندفع الناس في جو الاشتراكية السوفيتية الشيوعية، وبعض الناس كان يقول الاشتراكية الإسلامية، وكنت أقابل بعض الناس أثناء إلقائي لبعض المحاضرات يقولون نحن لا نريد اشتراكية فأيام الملك لم تكن هناك اشتراكية فقلت لهم شوقي يقول:

الاشتراكيون أنت إمامهم ...... وأغلب الناس يقول الآن نحن نريد الاشتراكية دون أن يعلم ما هي الاشتراكية ويجب علينا نحن أن نطبق نظام يتفق مع ظروفنا.

* كان هناك ناس مؤمنين بالشيوعية على علم ودراسة لأن الشيوعية الماركسية علومها كثيرة ، ولكن الشعب المصري متدين فمن الصعب أن أهاجم الشيوعية كشيوعية مع هؤلاء ولكننا نقوم بعمل معلومات مضادة «indirect information» بمعنى البرامج الرئيسية والقرآن الكريم وبرنامج مثل نور على نور والشرح الديني وهكذا، ونبين مزايا العدالة الاجتماعية التي نعملها دون الحديث في الشيوعية، وأنا درست الأنظمة السياسية كلها وعندما أنظر إلى مذهب من تلك المذاهب أقارن بين المزايا والعيوب فعيوب الشيوعية كبيرة جدًا ولا يمكن أبدًا أن تعيش ولو أنها مفيدة ونافعة لنا لكنت قد اقتنعت أنا بها لكن الشيوعية بداخلها عوامل سقوطها فهؤلاء قوم لا يؤمنون بالله تعالى ولا بالشورى، والعدالة التي يتغنون بها فارغة من المضمون فمثلا نجد متجر معين عندما ذهبت إلى الاتحاد السوفيتي أدخلوني في متجر وقالوا لي اشتري ما تريد ووجدت أشياء بأرخص الأسعار وعندما سألت قالوا لي أن هذا المتجر مخصوص لأعضاء اللجنة المركزية، بمعنى أنهم يقولون المساواة ولم يساووا وهو ما يعني أن الشيوعية ألغت مبادئها مع الوقت ولذلك سقوط الشيوعية ليست من أمريكا.

المبحث الثاني
موقفي من الاشتراكية والشيوعيين

في ذلك الوقت كان هناك ناس أصبحوا يعبدون العبد ولا يعبدون رب العبـد ، وهـذا حـدث حتى في عهد الرسول فنجد الجزء الأول من سورة البقرة يتحدث عن المؤمنين ووسـط السـورة تحدث عن أهل الكتاب وجادلهم بالتي هي أحسن والمجادلة غير المحاورة والمجادلـة بلسـان العرب لأنهم أهل الكتاب، أما حديثا مع بعض فهو حوار، والمسيح عليـه السـلام يقـول أحبـوا أعدائكم فإن أحببتم أحبـائكم فلـيس هـذا فضـل، لدرجـة أننـي وجـدت فرصـة لعمـل كتـاب «الاختلاف في الإسلام» بالعربي والإنجليزي وقرأه شـيخ الأزهـر ووافـق عليـه ونقـول فيـه أن الإسلام ما هو إلا عقيدة وشـريعة وأخـلاق، والأخـلاق متفـق عليهـا في الأديـان الثلاثـة وهـذا الكتاب يبين أن الأخلاق هي أساس كل الأديان.

وفي نفس الوقت عندما قيل اشتراكية ودخل الاتحاد السوفيتي في عمليـات التسـليح الـبعض مشي في اتجـاه الحـزب الشـيوعي ولا يقولـوا شـيوعيون في كثيـر مـن الأوقـات وإنمـا يقولـوا اشتراكيين ، وأنا لم أكن في هذا الاتجاه أبدًا نظرًا للظروف التي كانت موجودة في مصر وجاء وقت وخرج الشيوعيين من السجون وأيدوا عبد الناصر في هذا بعد أن كـان قـد حبسـهم، والظـروف نفسها كانت تقتضي أن نتماشى مع الاتحاد السوفيتي ليس بمعنى السير في طريق الشيوعية وإنما في معاني معينة منها الاشتراكية وهنا خلط الشيوعيون بين الاشتراكية والشيوعية ،

وكانت النتيجة أنهم دخلوا في الصحافة وسيطروا عليها وكذلك في الإذاعة والتلفزيون وأنا وقتها كنت وزير إعلام وكنت متفهم تمامًا اتجاه الشيوعية فهم يلبسون عباءة الاشتراكية وأنهم رعاة الاشتراكية الموجودة في البلد، و وجدت أن هذا الاتجاه مثلا في مجلة مثل روز اليوسف حيث بدؤوا يروجون للشيوعية في الإعلام الذي سيطروا عليه،أما نحن كحكومة فكان هدفنا من الاتجاه مع الاتحاد السوفيتي هو أننا نساير الاتحاد السوفيتي الذي يعاوننا ضد الاستعمار، لكن لا نريد أن يسيطر علينا وهذا كان موقفي في فى هذا الوقت كوزير إعلام الحكومة ، ورأيت تلك السيطرة على الإعلام وكنت أعارض هذا ولكن كان هناك ميل في مصر للتعاون مع الاتحاد السوفيتي على أساس التعاون ضد الاستعمار من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية ، وفي نفس الوقت كنت أعمل جاهدا لمنع السوفيت من السيطرة ونشر الشيوعية، وأخذ الشيوعيين يتغلغلوا في معظم الأجهزة ومن هذا المنطلق وجدتهم في التنظيم الطليعي والصحافة على أساس أنهم يتبعوا سياسة الدولة ، وكان عبدالناصر يخاف من طردهم فلا يبقى لنا أي سند مع الاتحاد السوفيتي، وعندما زار خرشوف مصر فقال لعبد الناصر قلبك وعقلك ليس معنا فضحك عبد الناصر.

المبحث الثالث
عبد الناصر وخرشوف

* كان عبد الناصر يتعامل مع السوفييت من باب المصلحة لأنه لم يكن هناك بديل ، وفى أحد المرات تعدى خرشوف على عبد الناصر فى إحدى خطبه وقال «هذا السياسي الصغير» وكنت وقتها وزير إعلام الوحدة وكنت فى القاهرة وكان الرئيس فى دمشق وعندما سمعت ذلك اتصلت بالرئيس عبد الناصر وأبلغته بما حدث من خرشوف فقال لي يا دكتور حاتم بعد«ه» دقائق جميع المحطات الموجهة باللغات المختلفة وكنا وقتها نذيع بـ32 لغة كلها تتحول على «دمشق»، وتم الإعلان عن حديث هام للرئيس بعد دقائق فى جميع الإذاعات وهاجم عبد الناصر خرشوف وقال له تريدون أن نكون أصدقاء نحن نريد هذا ، أما غير ذلك فلن نقبل.

زوج بنت خرشوف

* كان القادة الروس يعلمون جيدًا أن عقولنا وقلوبنا ليست مع الشيوعية ، ولكن كنا نتقابل ونتبادل الزيارات بعيدًا عن المعتقدات وفي إطار العلاقات ولا نعلن الفاصل الذي نعلمه نحن، ولكنهم كانوا ينتهزون الفرص للسيطرة على كل مكان... وفي أحد المرات كنت مريضًا بعض الشيء فطلب فقال لي الرئيس سافر إلى منى الرئيس أن أسافر لألمانيا للعلاج ، وسافرت لبضع أيام وعندما عدت بعد رحلة العلاج نظرت في خريطة الإذاعة ، فوجدتهم يذيعون خطب يومية للرئيس وكانت تلك خطتهم للتقرب للرئيس ،

وأرادوا بتلك الخطوة أن يظهروا لعبد الناصر أنهم مخلصون له من أجل إقصاء عبد القادر حاتم ، وعادة أنا كوزير إعلام أتصل hot line مع الرئيس في أي وقت لأن أخبار العالم كله يجب على أن أرد عليها، وأقوم بعرضها على الرئيس قبل النشر، وبعد رجوعي بيومين اتصلت على الرئيس عبد الناصر وقلت له أن الصحافة الصادرة غدًا بها كذا وكذا ، وكانت هناك رقابة لكنها ليست بمعنى المنع، فالمنع كان يتم بوسيلة إقناعية وكان هناك رقابة من أجل التوجيه ، وخلال اتصالى بالرئيس بدأت أشرح له موقف الجماعات السياسية ، فالرئيس يهمه أن يأخذ معلومات وكيف نرد ، وفي آخر الكلام الساعة 11.30 مساء وكان المتبقى نصف ساعة على طباعة الصحف،وأخذت أشرح للرئيس ما وجدته فى الإذاعة بعد عودتى من ألمانيا.. وأخبرت الرئيس بأنهم يذيعون خطبه القديمة يوميا خلال الأيام العشرة الماضية ، فإذا به يفاجئني مفاجئة غريبة جدًا وقال لي «وأنت منعتني» منعت هذا الكلام فقلت له نعم بالفعل فسألنى «لماذا و سكت» فقلت له أنا لم أمنعك وسكت،فانظر إلى عظمة عبد الناصر عندما قال لي لماذا لم تتكلم وتسألني ماذا قلت لمن أبلغني هذا الكلام، فتأكدت أنه معي وأنا أعلم ذلك لأن الإعلام هو مرآة السياسة الحقيقية مش سياسة روسيا ، فقد تعاملت مع السوفيت في كل شيء ، فقال لي الرئيس ناصر «قلت له ما دام فلان عمل كدا يبقى هو صح.. هو أنا رجعت محمد الخامس بالقوة لما الفرنساويين طردوه... أنا بقول خطبة كل شهر والراجل دا دارس إعلام مع قانون وسياسة وخبرة طويلة فلازم يكون فيه سبب وأكمل عبد الناصر قائلاً قلت له لما د. حاتم نشر أن في الجزائر مليون شهيد هو كان فيه بالفعل مليون شهيد

وعندما سألت الدكتور حاتم قال لي أن هذا «سلوجان إعلامي» حتى يعرف العالم كلـه.. وأنـا أريد أن أجعل من الإعلام المصري إعلام عالمي وهو نـوع مـن عولمـة الإعـلام فمـن الناحيـة الإنسانية العالم كله وراءه فنحن نتبنى حقوق الإنسان« وقـال لـه أن هـذا الرجـل يقـول صـح... فقلت له أريد أن أقول شيئًا يا سيادة الرئيس أنت وضعت مبدأ نظري للإعلام «أن الإعلام الجيد مثل الدواء الجيد ولكن إذا زاد الدواء عن حده انقلـب إلى ضـده وهكـذا الإعـلام فـإذا زدنـا في الكلام عن الرئيس قال وعمل فهذا يؤدي إلى عكس النتيجة» فقال لي الرئيس «أنت قلت لي ذلك» فقلت له ثانيًـا: هنـاك شـيء في الإعـلام يجـب أن يجعـل الإنسـان متشـوق «مـا هـي السياسـة المستقبلية» وأمامنا عشرة أيام على احتفالات 23 يوليو... فلما نقعد كل يوم نقول ما قيـل العـام الماضي والذي قبله يحدث نوع من الملل لدى الناس ، فأنا أريد المواطن أن يكون متشوق لما هو قادم، وهذا من مبادئ الإعلام،وسردت له نكتة قيلت أيام هتلر والحلفاء يقولهـا النـاس الآن فى مصر «واحد قعد مع أولاده في البيت يشوف التلفزيون وأثناء جلوسهم وجدوا هتلـر كالعـادة فقال الأولاد كل يوم هتلر فلننقـل عـلى المحطـة الثانيـة فقـال الأب لأولاده جارنـا في الحـزب النازي وهوا لسه صاحبي هيكتب فينا تقرير... أول ما ينام ننقل ونروح المحطة الثانيـة،فلما نـام هرع الأولاد إلى أبيهم وأبلغوه أن جارهم قد نام ، فقال لهم أقلبوا المحطة فقلبوا فوجدوا جـوبنز ومعه بندقية وقال لهم ارجعوا كلكم للمحطة الأولى»،وأنا عندي كتاب عمله أحد الإنجليز «ضد جوبنز» ووضعوا فيه كل النكت ووضعوا نسخة منه فى السفارة وأنا أخـذت نسـخة مـن السـفارة بحكم عملي في المخابرات وفيها نكت كثيرة عن جوبنز ثم قلبت على عبـد النـاصر مـثلاً «واحـد كان واقف أمام البحر فوجد شخص بيغرق فنـزل المـاء وأنقـذ هـذا الشـخص ونظـر في وجهـه فوجده هتلر فاستغرب، فقال له هتلر قل لي على أي شيء ألبيه لك فقال لي طلـب واحـد فقـط... متقولش لحد إني أنا اللي نجيتك.

المبحث الرابع
الشيوعية في بيتي !

كنت في زيارة إلى الإسكندرية برفقة الرئيس السادات وتقابلنا هناك مع «بناماريوف» وهو وزير الاستخبارات السوفيتية في العالم وكان معي طارق ابني وعمره صغير لم يتجاوز 14 أو 15 سنة وإيمان ابنتي عمرها عامين، فسألني «ماريوف» هؤلاء أولادك فأجبته نعم، وقد كانت زيارته من أجل الضغط على السادات لعمل معاهدة معه وكان عبد الناصر قد سبق ورفضها وكان هذا قبل حرب أكتوبر وبعد صراع السادات مع مراكز القوى.

وبعد الحديث مع الرئيس السادات حول قبول أو رفض المعاهدة وجدت «بنا ماريوف» يعطي طارق ابني شريط وإيمان أخته شريط ، وقال لهم أنتم الاثنين في ضيافتنا في الجبل الأسود في معسكر الشباب، ووطلب طارق أن يذهب إلى الإتحاد السوفييتى ،و سافر إلى هناك ودخل معسكر لمدة شهر وأثناء المعسكر أصيب ببعض المرض في الكلى ، فأبلغوني أن الحكومة السوفيتية مهتمة به وبعدها عاد إلى البيت لا يتكلم مع أحد نهائيا ويجلس معنا بدون كلام، فسألتنى زوجتى عن سبب الحاله التى يعيشها ابننا وقالت «الولد اللي حيلتنا يبقى شيوعي في الآخر» فطلبت منها أن تنتظر وقلت لها هذا عملي، وبدأت أجلس مع طارق وسألته في البداية لأعرف ما بداخله، فقلت «ما رأيك في الاتحاد السوفيتي»

فأجاب «ناس كويسين جدا يا بابا» فسألته هل كنت تقابل وزراء فأجـاب «نعـم بـس الـوزير مش زيك يا بابا بل الوزير عندهم ينزل إلى المقهى ويروح يجيـب الخضـار لأسـرته ويأكـل مـع العساكر» فأجبت هذه أشياء عظيمة وإيه كمان فقال «وإنا هورثك ليه» وجلس طارق مع إخوتـه أيضًا فسألوه «إيه يا طارق أنت بتتكلم في الشيوعية» فأجاب «وليـه إحنـا مـا نبقـاش شـيوعيين» فسألوه كيف ؟ فأجابهم «أين ربنا» فأجابته أخته بأن الله هو الذي خلق كل شـيء فقـال لهـا هـذه طبيعة تضعي بذرة وتخرج وبعدين تموت زي الناس ،يتجوز ويخلف وينتهي عمـرهم وهكـذا، وسأل طارق أخته الكبرى مرة أخرى «طيب فين ربنا اللي عمل كدا كما تقولين» فقالـت لـه ربنـا موجود فقال لها بس أنا عايز أعرف فين هوه..« فقالت له «أنت ترى بأعينك وتـتكلم وتسـمع .. ما الذي يجعل تلك الأشياء تفعل ذلك.. فقال لها – الأعصاب – فسـألته ومـن أيـن أتـت تلـك الأعصاب يا طارق .. فقال تأتي من المخ ... وسألته وهل ترى المخ؟ فأجاب «لا» فقالت لـه إذا كنت لا ترى ما في جسمك فكيف تريد أن ترى الله... وجلست معه 15 يوم حتى عاد إلى وعيه.

* وبعدها بفترة قصيرة كنت وزيرا للثقافة ، و أخذت تـوت غـنخ آمـون إلى روسـيا وتقابلـت هناك مع الرئيس الروسي وبنا ماريوف والعديد من الشخصيات وعندما بدأت أتحدث قـاطعني «بناماريوف»قائلا «كيف حال ابنك» فأجبته بأنه جيد وأجبته أنه بعث لك بهدية وهي عبـارة عـن صندوق صغير مطرز فقال لي أريد أن أعرف ما هي الأحوال فقلت كويس قـال لا «أفكـاره إيـه» فأجبته بأنه عندما رجع قال «يا بابا ليه منبقاش شيوعيين» ففرح جدًا بمجرد أن سمع تلك الإجابة وقال لي انظر هناك مثل ألماني يقول «خذوا الحكمة من أولادكم»

وقال لي «يا دكتور حاتم حاول أن تغير أفكارك وأنظر إلى ابنك ماذا يقول الآن» فقلت له فعـلاً «وأنا من رأيي أن نبقى على العلاقات الطيبة مع بعض... أنتم لديكم حاجات تكنولوجي كويسة وسوف تسعد الناس ونحن في مصر نميل إلى الاستقلال والصداقة الاجتماعية التي تنـادون بهـا ، فقال لي » والشيوعية« فقلت له صحيح أن «طارق» قال ليه ما نبقاش شيوعيين لكن بعد 15 يـوم قال لي إن الشيوعية لا تصلح في مصر، فأصيب الرجل بهم وغم وقـال لي طيـب نشـوف جـدول الأعمال.

المبحث الخامس
الحرب والحرب المضادة

* الشيوعيين وإذاعة صلاة الجمعة

في أحد الأيام كان الذي يقوم بنقل مباريات كرة القدم شيوعي ، وأنا أعلم ذلك، وجاء ليخبرنى أن منتخب مصر سيلعب مع البرازيل يوم الجمعة في موعد الصلاة وليس لدينا إلا عربة هواء واحدة فسألته ماذا تريد؟ فقال أن البلد كلها بتحب الكورة والناس منتظرين فقلت له وصلاة الجمعة ، فأجابنى المباراة ستلعب في وقت محدد أما الصلاة فتوجد صلوات أخرى وهي العصر والمغرب... فوافقت على إذاعة المباراة فاعتقد أنني تنازلت عن نقل صلاة الجمعة ... و طلبت مدير الهندسة الساعة 8 مساء يوم الخميس وقلت له أن سطح التلفزيون هو أعلى منطقة، و أخبرته بأن يجهز المكان وأن يأتى بمنبر وشيخ يكون صوته جميل ونقلنا صلاة الجمعة من فوق سطح التليفزيون .

إذاعة القرآن والشيوعيين

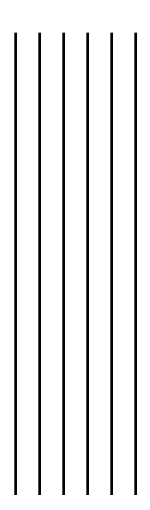
وصل الشيوعيين إلى ذروة مجدهم فى الستينات وسيطروا على العديد من المناصب بعضهم يعترف بأنه شيوعى والبعض الأخر متخفى ، وكان لبعضهم نفوذ وذات مرة وفى احد الاجتماعات أخذ أحدهم يكيل لى عبارات المدح والتبجيل فقلت له ماذا تريد أن تقول؟ فأجاب «إنك وافقت على قطع البرامج وقت الصلاة والناس منتبهة لأشياء في التلفزيون وهذه الأمور تضايق المشاهدين» وأن هؤلاء المشاهدين لا يستطيعون التعبير.. لكن من الواجب علينا نحن أن نقول لك هذا وأنت لم تأخذ رأينا فى قطع البرامج لإذاعة الآذان.. ونحن نريد أن نقول لك أن الدين هذا لا يجب أن يدخل في السياسة ويجب إبعاد الاثنين عن بعضهما لأن هناك أشياء في الدين لا تقرها القوانين الوضعية ، فقلت لهم ماذا تريدون فكان ردهم «إنت أخذت قرار غلط» وكان يجب استشارتنا فيه ... فقلت لهم خلاص ... أنا اعتذرعما أصدرته وقلت لهم في مجلس الوزراء «أنني أعتذر للمجلس فيما قمت به من إصدار أمر بقطع الإذاعات في مواعيد الصلاة وهذا قرار وقرر مجلس الوزراء إصدار أمر بإلغاء قرار القطع» وأنا سأخرج لأعلن هذا الاعتذار أمام الإعلاميين لأننى المتحدث الرسمى باسم المجلس ، وقبل خروجي قال رئيس مجلس الوزراء من الأفضل أن ندخل في جدول الأعمال،ونظرا لتلك الظروف التى كانت سائدة ومحاولة الشيوعيين التغلغل فى كل شىء وتغيير الملامح الإسلامية لهذا البلد وتأثيرهم على الكثير من أبناء الشعب البسطاء ، كان لزاما علينا إيجاد طريق يعيد تصحيح المفاهيم المغلوطة التى زرعوها ومن هنا جاءت فكرة إنشاء إذاعة القرآن الكريم

ووجودها كان مهم جدا فى هذا التوقيت وبعد بدء البث وجدت الـرئيس جمـال عبـد الناصـر يتصل بي الساعة 7 صباحًا يقول «إيه يا دكتور حاتم فيه إذاعة بتذيع قرآن» فقلت له نعم فقـال لم أعرف بها« فشرحت له الأمر، ،وقلت للرئيس وأنت تحدثنى الآن نظرت مـن الشـرفة فوجـدت بائع اللبن يضع الترانزستور الصغير على دراجته وشغال على القرآن الكريم ، وقلت لـه يـا سـيادة الرئيس هذه الإذاعة سوف تقلب الدنيا فنحن نحارب الاستعمار والدول التي تحـت الاسـتعمار لا تعرف ماذا نفعل نحن، فستتقرب للدول الإسلامية بالقرآن والأزهر وسوف نجعل كل هـؤلاء ضد الاستعمار، وقلت له فاكر يا ريس لما عملنا في 1956 وكانـت ثـلاث دول بتهاجمنـا وقلـت سوف أجعل الإعلام العالمي ضد الاستعمار وقد نجحنا في ذلك حتى أنهم كانوا يعلقـون صـور عبد الناصر في الهند وفي السودان فالعالم كله أصبح معك، وعندما تراجعنا بعـض الشـيء في دول حوض النيل تركونا ليس حبًا في الآخرين بل المصلحة السياسية، وتخيل إلى الآن بعـض الـذين درسوا في الأزهر من أفريقيا مـن يـأتي مـنهم إلى هنـا يحمـل معـه هـدايا بسـيطة كتـذكار ووفـاء فالعلاقات الإنسانية هي الباقية.

* ليس هذا فحسب فعندما حاولت التغيير في برامج الإذاعة «البرنامج العام»لأنى وجدت روتين فى البرامج فالساعة 8 القرآن الكريم 8.45 الأخبار ومن 8.45 إلى 9 عباس العقاد والزيات وطه حسين وهكذا والساعة 9 أوركسترا الإذاعة، فقلت يا جماعة عايزين نغير فرفضوا، فقررت عمل إذاعة الشرق الأوسط ببرامج جديدة مفيش واحد يتكلم أكثر من 5 دقائق ومفيش أغنية أكثر من 5 دقائق وكلها آراء ناس ومكالمات من الناس، و التى أصبحت واسعة الانتشار واستمع إليها الفرنسيين ووجدوا فيها خط إعلامى جديد ومتميز وطرق جديدة فى الوصول للجماهير فما كان منهم إلا أن كرمونى وأعطونى أكبر شهادة وقالوا لي نرجوك أن تعطينا رسم لهذه الإذاعة وسموها إذاعة «مونت كارلو»بالعربية وأخذوا عدد كبير من المذيعين من الإذاعة المصرية .

الفصل السادس

دور الإعلام المصري في تحقيق المفاجآت الاستراتيجية



رحلة

الأقدار

المبحث الأول
تشكيل حكومة إعداد الدولة للحرب

دعاني الرئيس أنور السادات في أوائل عام 1973 لمقابلته وجاء في حديثه معي: إنني أفكر في اتخاذ قرار الحرب لاسترداد الأرض المغتصبة ،وقال إن الكثيرين سيشككون في هذا الأمر إلا أنى جاد فيه وهذا قدري.

* وقال لي أنه سيحتاج للتفرغ التام حتى يتسنى له مباشرة مهام قيادة القوات المسلحة والإعداد العسكري إلى جانب مهام السياسة الخارجية ،وأبلغني انه إختارنى لأكون رئيسا لمجلس الوزراء بالنيابة عنه وان أتولى رئاسة الحكومة المكلفة بإعداد الدولة للحرب، بل وان أكون مسئول دستوريا عن تلك المهمة أمامه وأمام مجلس الشعب... هذا إلى جانب منصبي كوزير للإعلام في هذا التوقيت، وقال لي سأعطيك 48ساعة للتفكير والرد.

*خرجت من عند الرئيس والأفكار تدور في رأسي ماذا افعل ، هل أقبل تحمل المسئولية وأتحمل العواقب وتوقف تفكيري عند استشارة بعض الأصدقاء المقربين وكانت نصائح أغلبهم أن أعتذر للرئيس عن هذا الأمر، وبعضهم قال لي أن الظروف التي نمر بها صعبة وقبولك للتكليف سيجعلك مسئولا أساسيا عن اى نتيجة تحدث ، خصوصا أن المهمة الرئيسية لتلك الحكومة هي إعداد الدولة للحرب ثم النصر الذي لا بديل عنه والنصر ليس بالسهولة التي قد يتوقعها البعض ،وبعضهم قال لي الجميع يعلم أن الحرب مع إسرائيل هي حرب مع أمريكا لان إسرائيل ولاية أمريكية في الشرق .. فهل نستطيع أن ننتصر على أمريكا !!

* وبعد تلك الكلمات بدأت استعيد ذكريات الماضي المؤلمة وتاريخ الصراع العربي الإسرائيلي المباشر هل انتصرنا في 1967، 1948؟ وكانت الإجابة بالنفى، بل إن إسرائيل وصلت إلى قناة السويس عام 1956 بمعاونة أصدقائها في العدوان الثلاثى على مصر، وفى كل الحالات لم يكن أمام الشعب والرأي العام سوى البحث عمن ستلقى عليه تبعية ما حدث... وهمس بعضهم في أذني باننى سأكون المسئول المدان القادم، وبرغم أن تلك الكلمات كانت كافية لتغيير رأي إلا أنها كانت الدافع الأول لى لقبول تلك المهمة لثقتى الكبرى في الله وقد واجهت تحديات كثيرة فى حياتى أعاننى الله عليها وخرجت منها منتصرا بعون الله وأيقنت فى نفسى أن هذا قدر الله رغم حجم التحدى وضخامة المسئولية والتى كانا دافعا أكبر لقبول هذا التكليف وبالفعل عدت إلى الرئيس السادات وابلغته بموافقتى على التكليف الوطنى ..وشكرت سيادته لاختياره لى.

* وأعلن الرئيس السادات تشكيل الحكومة الجديدة وأصدر قرارا جمهوريا بأن أكون مسئولا عن رئاسة مجلس الوزراء نيابة عنه، وأن أكون مسئولا دستوريا عن أعمال الحكومة وإعداد الدولة للحرب أمامه وأمام البرلمان، بل وإلقاء بيان الحكومة أمام البرلمان.

* وكان البيان الذى ألقيته أمام البرلمان قصيرا وحاسما قلت فيه .. أن الرئيس يعتبر أن استرداد الأرض المغتصبة هو قدره .. وإننى أقول معه إنه قدرنا جميعا حكومة وشعبا، بل قدر الأمة العربية كلها، واختتمت البيان بقول الله تعالى «كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم» صدق الله العظيم.

بعد ان ألقيت البيان أمام المجلس دعانى الرئيس السادات لمقابلته ولم يقل لى شيئا فى تلك المقابلة سوى: «لقد أشرت إلى أن الله قد كتب علينا القتال ...لذا فمن واجبنا ان نقوم بإعداد الدولة إعدادا جيدا للحرب، وبما ان هذه هى المهمة الأساسية للحكومة،فإننى اطلب منك أن تعرض علىَ الخطوط الرئيسية لهذا الإعداد، تركت الرئيس وعدت إليه بعد فترة بسيطة ومعى خطة إعداد الدولة للحرب .. وفى قلب هذه الخطة...المفاجئة الإستراتيجية.

المبحث الثاني
المفاجأة الإستراتيجية

* المفاجأة الإستراتيجية يقرها رئيس الدولة ويشرف عليها شخص مسئول واحد وتتم فى إطار كامل من السرية والمركزية، وتبدأ المفاجأة الإستراتيجية زمنيا منذ اتخاذ قرار الإعداد للحرب والبدء فى تنفيذه وتمتد حتى البدء الفعلى للأعمال العسكرية، وتختص المفاجأة الإستراتيجية بجعل مسألة الأعداد للحرب فى إطار من السرية الكاملة عن طريق تنفيذ عملية واسعة من الخداع والتضليل المعلوماتى ، بحيث يتثنى تجهيز القدرات الذاتية لتكون فى وضع يؤهلها للحرب وتحقيق النصر اعتمادا على امتلاك عنصرى المبادأة والمفاجأة ، وفى المقابل تعمل عملية الخداع والتضليل على إيجاد حالة من الاسترخاء او بالأصح التخدير لدى العدو طوال فترة الإعداد للحرب ، بحث تكتمل الاستعدادات دون أن يعرف العدو شيئا عنها ، ويقوم الإعلام بالدور الرئيسى فى تنفيذ وتحقيق المفاجأة الإستراتيجية من خلا قيامه بتنفيذ أعمال التضليل والخداع والحرب النفسية ، وقبل هذا التحكم فى حجم ونوعية المعلومات والتأثير فى تفسير هذه المعلومات لدى العدو ....وقد حدد رب الإستراتيجية العسكرية فى العالم «كلاوزوفيتش» عدادا من العناصر اعتبرها أساسية عند صياغة اى إستراتيجية عسكرية ومنها :امتلاك زمام المبادرة وتحقيق المفاجأة وأولى المفاجأة اهتمام اكبر.

*والحق دائما ما يشهد به الأعداء فبعد تنفيذ المفاجأة والنصر فى حرب العاشر من رمضان السادس من أكتوبر واستعادة الكرامة والاحترام لمصر والعرب اعترف الأعداء قبل الأصدقاء وهذا ما قاله رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية اللواء ايلى زعيرا فى كتابه « حرب يوم الغفران: أسطورة فى مواجهة الواقع» لقد تبين لنا فعلا أن كل موضوعات الإعلام المصرى كانت حملة خداع من جانب الرئيس المصرى أو شخص بجواره... وان هذا ليعتبر اكبر نجاح لمصر فى حرب يوم الغفران ... وقال أيضا : غير أن العنصر الذى وضع بذكاء ونفذ بكفاءة كبيرة كانت عملية الخداع الإعلامية المصرية التى أسهمت أكثر من أى عنصر آخر فى عدم فهم أو تفسير الاستعدادات المصرية لعبور القناة.

* ولم يكن ما قاله رئيس المخابرات الإسرائيلية هو التعليق الوحيد على خطة الخداع الإعلامية بل قال الرئيس الأمريكى نيكسون : «انها لخيبة امل كبيرة من المخابرات المركزية الأمريكية سى .أى . إيه والتى كنا نظن أنها ممتازة ... إننا لم نعلم أن حرب 6 أكتوبر ضد إسرائيل إلا قبل ساعات قليلة من اندلاعها».. كما جاء فى مذكرات هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية فى عام 1973 حينما جاء إلى القاهرة فى زيارته الأولى لمقابلة الرئيس السادات فى الأيام الأخيرة من حرب أكتوبر وكانت هذه هى المرة الأول ى التى يزور فيها مصر وكذا لقائه الأول بالرئيس السادات قال كيسنجر للسادات «سيدى الرئيس قبل أى حديث بيننا ارغب من سيادتكم ان تقول لى كيف أمكن لمصر ان تخدعنا وتخدع مخابراتنا وتخدع العالم بهذ الخداع والتعتيم الإعلامى ... لقد كانت المفاجئة معجزة ولم تحدث لى من قبل فى حياتى.

* وهذه الشهادات ما هى إلا وجه من وجوة الحقيقة فقد ساهمت المفاجأة الإستراتيجية بقـد كبير جدا فى إنجاح المفاجاة التكتيكية والتى تبدأ عند تحديـد سـاعة الصـفر ،أى تحديـد وقـت الهجوم ، ومن ثم فهى تتحدد بناء على التنسيق بين صاحب القرار السياسـى وبـين القائـد العـام للقوات المسلحة ، كما تختص بنوع التسليح ومستوى تدريب القوات ومدى كفـاءتهم وكـذلك الأجهـزة والمعـدات الحربيـة المسـتخدمة ، والأهـم هـو المسـتوى القتـالى المتميـز للقـوات والأسلحة والاستفادة منها ، واختيار اليوم المناسب للمفاجأة التكتيكية.

* وتهتم المفاجأة التكتيكية بتخطيط وتنفيذ عمليات حربية مفاجئة لا ينتظرها العـدو ، وهـذا ما حققته الضربة الجوية فى حرب أكتوبر عام 1973 والتى كانت مفتاح النصـر، وكـذلك طريقـة العبور وأماكن الجسور ، ومستوى الأداء والتكتيكات العسكرية كلها حملت عنصر المفاجأة وما زالت حتى الآن عناصر تلك المفاجآت تدرس فى كبرى الأكاديميات العسكرية فى العالم.

* بعد أن قبلت تكليف الرئيس السادات بإعـداد الدولـة للحـرب عـدت إليـه ومعـى خطـة المفاجأة والتى تعتمد على عدة ركائز منها:

أن نكسة العام 1967 أدت إلى حالة من الإحباط واليأس فى مصر والبلاد العربية وانتشرت الإشاعات والنكت التى تترجم تلك الحالة ، فقد كنا نتفاخر قبل هزيمة 5 يونية 1967 بأننا أقوى قوة فى منطقة الشرق الأوسط وأن باستطاعتنا تدمير إسرائيل، وأن نلقنها درسا لن تنساة إذا ما فكرت فى تهديد أى بلد عربى وقد كانت عاصفة التهويل غير قاصرة على الطبقات الشعبية بل إن هذا الكلام كان يردد على أعلى المستويات فى الدولة وفى الوقت نفسه يتم التهوين من قوة وقدرة إسرائيل ،وعندما بدأت الحرب لم يصدق إعلامنا ما حدث وأخذ يتخلى عن الحقيقة والصدق ويذيع أخبار الانتصارات العظيمة الكاذبة فى الوقت الذى كنا نلاقى فى أشد مرارات الهزيمة وأخذ الشعب يصدق تلك الأخبار لأنه قد سبق شحنه بأنه القوة الوحيدة والقادرة على قهر إسرائيل إذا ما لوحت أو حاولت الاعتداء على مصر والعرب وبعد ساعات قليلة كشف الغطاء عن أكبر كذبة إعلامية وأن الانتصارات ما هى إلا أكاذيب فكانت الحقيقة زلزالا هز الأمة العربية بأكملها .

* مضت عشرة أيام على الهزيمة كأنها عقود طويلة ، وخيم الحزن والأسى على كل المنازل وبكت الأعين حسرة ومرارة دما سبق الدموع ،وفى 15 يونيو 1967 اتصل بى الرئيس جمال عبد الناصر تليفونيا وطلب منى وضع خطة إعلامية للبلاد ولم أكن وقتها وزيرا للإعلام فقد تركت وزارة الإعلام عام 1966، وكان بالخطة جزء خاص بالقوات المسلحة المصرية التى كانت غير مسئولة عن الهزيمة بل قادة الجيش هم من تسببوا فى الهزيمة ، وكان الهدف من تلك الخطة والجزء الخاص بالجيش لإزالة حالة الإحباط الشديدة فى القوات المسلحة وطلب منى الرئيس أن أعطى الجزء الخاص بالجيش إلى الفريق محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة فى ذلك الوقت، فقد كانت تجربة يونية 1967 قاسية على المستويات الإعلامية والسياسية والعسكرية

.. ولذلك كان فى تخطيطى لتقدير الموقف الإعلامى والسياسى دروسا كثيرة من تلك التجربة وهو ما قدمته فيما بعد للرئيس أنور السادات .

* وكان الفريق فوزى رحمه الله قد بذل جهدا كبيرا فى مرحلة حرب الاستنزاف وقد أشاد الجميع بما قامت به قواتنا المسلحة فى هذه الحرب .. ونعود هنا إلى ما طلبه الرئيس عبد الناصر فقد أتممت بالفعل ما طلبه ، وأذكر أنه حادثنى تليفونيا وقال لى « لم يكتف الإعلام بما فعله أثناء الحرب بل إننى سمعت أمس من الإذاعة المصرية نشيد... يدعو للحرب ثانية _راجعين راجعين بقوة السلاح راجعين.

وقد كانت الهزيمة فى 5 يونيو1967 مبعثا لإعادة التفكير من جديد فى كل شىء واستخلصت منها العديد من الدروس المفيدة التى يجب تداركها فى أى خطة إعلامية فى المراحل القادمة، وقد ذكرت فى خطتى تلك الدروس وبينت أننا لا بد ان نتعلم منها الكثير .. وستكون قرارات إعداد الدولة للحرب هى نتائج لهذه الدروس ، وقد حدثت بالفعل كل النتائج التى وضعتها فى خطة حرب إكتوبر وحقق بالفعل المفاجأة الإستراتيجية ، فقد انقسم التخطيط إلى ثلاثة أقسام ..قبل وبعد وأثناء المعركة والاحتمالات الثلاثة لاى حرب إما انتصار أولا انتصار أو لا هزيمة ولا انتصار أى لا غالب ولا مغلوب... وقد وضعت خطة إعلامية لكل احتمال وبينت مبدأ هام هو قول النبى صلى الله عليه وسلم «الحرب خدعة ، استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » وأن من يريد أن يحارب لا يعلن أنه سيحارب .. ولذلك فخطوط السياسة الجديدة تختلف كلية خططا وأسلوبا وتنفيذا خاصة وأننى مسئول دستوريا عن ذلك مع مسئوليتى كوزير إعلام مسئول عن الرقابة على كل المطبوعات والبرقيات والصحف .

* وقد حملت خطة المفاجأة الإستراتيجية بداخلها ما يوحى للعدو وحلفائه بأن كل ما يصدر عن الإعلام المصرى وقيادته السياسية ما هو إلا تهدئة للأوضاع الداخلية نتيجة حالة اليأس والإحباط وعدم الاستقرار وتضارب التصريحات المصرية وبلبلة الرأى العام المصرى والعربى ، بجانب دراسة مستفيضة للعلاقات الأمريكية الإسرائيلية التى بلغت حدا من القوة ما جعلت الولايات المتحدة لا تعير لمصر اهتماما لما ترجوة من الولايات المتحدة ويكفى ما جاء فى كتاب « الارتقاء إلى العالمية Rise to Globalism» ل ستيفن امبروز – من الازدراء والاحتقار الذى لاقاه مبعوث الرئيس السادات عندما تقابل مع وزير الخارجية الأمريكية هنرى كيسنجر وقد ذكر ستيفن بالنص ما جاء على لسان كيسنجر« لقد تحدثت مع السيد حافظ إسماعيل حينما طلب مقابلتى وكان حديثى معه عن أحوال الجو وذلك لمجرد ان نبتعد عن الموضوع .. لقد راوغته فى الكلام .. لقد أخبرنى إسماعيل –عدة مرات –أنه لا يمكن استمرار الوضع الحالى ، وسألنى إذا لم تكن الولايات المتحدة قد استوعبت أنه ما لم يتم التوصل إلى اتفاق فلا بد أن تندلع حرب ... فلم تظهر على وجهى ابتسامة ، ولو طفيفة، بينما أخذت أضحك وأضحك فى أعماق قلبى .. حرب؟ مصر؟ لقد اعتبرته حديثا أجوفا ،ومباهاة يعوزها المضمون».

*وهكذا كانت نظرة العالم لنا عندما نتحدث عن الحل السياسى الذى يعيد لمصر والدول العربية حقوقها وأرضها الضائعة دون التضحية بكرامتنا وكبريائنا قبل أكتوبر وبات هذا المطلب صعب المنال بل بات مثيرا للسخرية إذا تحدثنا عنه مع اى من الأطراف الدولية المؤثرة وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية ،ويكفى الإشارة إلى لقاء حافظ إسماعيل مع كيسنجر ، وهو قول يبين نظرة أكبر دولة فى العالم صديقة لإسرائيل .. وما بها من إهانات وسخرية لمصر والعرب، وتواكب هذا مع قرار الرئيس السادات بترحيل الخبراء السوفييت وما تبعه من تباعد بينه وبين مصر فى الوقت ذاته زاد التقارب الامريكى السوفييتى الإسرائيلى.

المبحث الثالث
التقارب السوفيتي الأمريكي قبل حرب أكتوبر

*الهزيمة العربية الأخيرة فى يونيو زادت من الصلف والغطرسة الإسرائيلية فى المنطقة وأصبحا هما الوجه الوحيد لها ، حيث أصبحت فى ظل هذه الأوضاع قادرة على تجاهل أى شىء يقال أو يعمل لأنها الأقوى فى المنطقة ،وكان يقابل هذا التغطرس ضعف عربى ،هذا بجانب أن إسرائيل تعتمد على تحالفها الكبير والأساسى مع الولايات المتحدة فى الوقت الذى تباعدت العلاقات المصرية مع القطب الدولى الثانى «الإتحاد السوفييتي»ومن ثم فإن ما يخرج على لسان المسئولين والإعلام الإسرائيلى بشأن أن إسرائيل لا تقهر ينبع فى جزء كبير منه من إدراكهم لهذه الأوضاع المصرية العربية الصعبة ، هذا بجانب الإعلان الرسمى للولايات المتحدة بالتزامها بالدفاع عن وحماية إسرائيل منذ فترة نيكسون الأولى عام 1968والذى بدأت بعده شحنات الأسلحة الأمريكية المتجهة إلى إسرائيل تزيد عاما بعد عام وتعهدت الولايات المتحدة لإسرائيل بتأييدها ومساندتها سياسيا واقتصاديا وإعلاميا و عسكريا.

* فى الوقت الذى أعلنت أمريكا رسميا مساندتها لإسرائيل أظهرت الأوضاع نفسها مدى ارتباط الولايات المتحدة بعلاقات قوية مع عدد من الدول العربية ذلك لان الدول العربية تحتفظ بعوامل الأهمية التى تفرض عليها وغيرها من الدول الغربية ان تعطى الدول العربية هذه الأهمية والتى من أبرزها البترول الذى يمثل عصب الاقتصاد الأمريكى والأوربى والعالمى إلى جانب التحكم الجيو-إستراتيجى على أهم المضايق والممرات المائية فى العالم .

* وقد أدى التقارب الأمريكى السوفييتى إلى جعل منطقة الشرق الأوسط إحدى القضايا التى تعالج بالكيفية التى تخدم علاقات القطبين بغض النظر عن أوضاع ومصالح الأطراف الحقيقيين ،ومن ثم كان الاتفاق على تجميد الوضع فى الشرق الأوسط وفرض ما يعرف بحالة اللا حرب واللا سلم . من أجل خدمة المصالح الأمريكية والسوفييتية بشكل براجماتى بعيدا عن النقاء الأيديولوجي والالتزام السياسى .

وكما يقول ستيفن أمبروز فى إحدى فقرات كتابه «الارتقاء إلى العالمية » لم تكن اى من القوتين العظميين معنية بالنقاء الأيديولوجي .. فقد قامت روسيا مرات عديدة بتأييد أغنى الحكومات العربية واكثرها رجعية ،بينما قامت الولايات المتحدة بمساعدة حكومات أفقر الدول العربية وأكثرها تطرفا . وكان تدخل الولايات المتحدة وروسيا يتم على أساس يومى أو فى أفضل الحالات على أساس شهرى ،لان كلا الجانبين لم يكن لديه برنامج عمل محدد للمنطقة – فلم يكن ذلك ممكنا لأنه لم يكن لديها حل لمشكلة الوطن القومى – ولذلك كان كل منهما يتصرف حسب الموقف الراهن ،الأمر الذى كان يؤدى إلى تغير السياسة بشكل مفاجىء فى أغلب الأحيان – بل وبشكل غير مفهوم ويحث المرء عن الاتساق أو الثبات بلا جدوى فيما عدا أن كلا الجانبين كان يصر على ان الجانب الآخر ليس له الحق فى التدخل فى الشرق الأوسط(إلا حينما تندلع الحرب ، وعندئذ يطلب كل جانب من الآخر أن يستخدم نفوذه ،لكى يوقف القتال»

*ووضعت فى تقديرى للموقف أهمية قرار الرئيس أنور السادات بالإعداد للحرب وذلك بعد قرائتى للوضع الدولى الموجود فى تلك الفترة وكذا عدم وجود أى من القطبين الدوليين بجانب مصر والعرب وأن الأمر يتطلب التفكير ووضع الخطط وفق الإمكانات المتاحة ..

المبحث الرابع
لا بديل عن الحرب لتحريك القضية

الوضع الراهن من تغطرس إسرائيلى وتجاهل دولى للقضية وضعف مصرى وعربى أصبح مثار لسخرية العالم ، كل هذا وضع أمامى أهمية قرار الحرب الذى اتخذه الرئيس السادات والذى لا مفر منه وأنة الطريق الوحيد الذى يمكننا من استعادة الأراضى المصرية وطرد الإسرائيليين منها بالقوة ، والحرب هى السبيل إلى تحريك القضية وإيقاف حالة التجميد التى فرضتها الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتى ، كما أن الحرب هى السبيل لاستعادة ثقة وتأييد الشعوب والحكومات فى مختلف دول العالم ،وقبل ذلك احترامهم لنا ، ولكن تنفيذ قرار الحرب الذى اتخذه الرئيس يتطلب إجراءات لكى يتحقق له النجاح.

* رغم جرأة وعظمة قرار الحرب الذى اتخذه السادات إلا أننا جميعا نعلم أننا سنخوض حرب ليست كأى حرب!- إننا نحتاج إلى حرب نضمن فيها تحقيق انتصارات ملموسة بنسبة كبيرة ، ولكن فى ضوء الأوضاع الإقليمية والدولية السائدة التى تفرض حالة اللا سلم واللا حرب لا يمكن الإعداد للحرب ثم الحرب الفعلية أمام أعين الجميع لأن كثيرا من القوى ستحبط هذا الأمر من أوله ، ولذلك لا بد أن يتم الإعداد للحرب وتحديد ميعادها والبدء الفعلى فى التنفيذ فى إطار محكم من السرية والتكتم –وهذا يتطلب سياسة مركزية لتحقيق المفاجأة الإستراتيجية ، ووضعت فى ذهنى أننا نحتاج لحرب ننتصر فيها،

ولكى نضمن تحقيق الانتصار لا بد أن يتم الإعداد لها وبخطة إعلام على أرقى مستوى هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ألا نتجاهل قوة الطرف الإسرائيلى بل ندرسه جيدا وندرس نقاط قوته ونقاط ضعفه وهنا يمكننا الإعداد الجيد لحرب تحقق لنا النصر، وهذا يتأتى من خلال دراسة نظرية الامن الإسرائيلى وعقيدتها العسكرية دراسة دقيقة سياسيا وإعلاميا وعسكريا.

المبحث الخامس
جيش الهجوم الإسرائيلي وليس الدفاع

يعرف الجيش الإسرائيلى بجيش الدفاع ولكن تلك التسمية تخالف الواقع ، فبمتابعه بسيطة لاعمال هذا الجيش منذ تأسيسه عام 1948 تجد انه بحق كان جيش هجوم وليس جيش دفاع ، فعلى المستوى التخطيطى والعملياتى كانت كل المعارك والاعمال العسكرية التى قام بها أعمالا هجومية ،ومرد ذلك ان إسرائيل رأت فى ضوء الظروف التى أنشأت نظرية الأمن القومى الإسرائيلى ،أن عليها دائما أن تكون هى المبادرة بالهجوم- فالجيش الذى يعانى من خلل عددى حاد عليه مسئوليات كبيرة فى الدفاع عن الحدود،ومن ثم عليه أن يتبنى منطقا هجوميا ومفاجئا فى أعماله ، وتكون له المبادرة فى تحديد التوقيت والمكان والهدف ... بهذا الشكل فقط يستطيع هذا الجيش قليل العدد ان يقوم بواجبه، إنة جيش الهجوم الإسرائيلي وإذا أردنا ان نكون أكثر تحديدا فهو جيش الهجوم والمفاجأة.وبهذا المنطق كان من الطبيعى ألا تكون لدى الجيش الإسرائيلى أى خبرة عملية بالحروب الدفاعية ، فالقوات الإسرائيلية لم تتعرض منذ حرب 1948لموقف وجدت نفسها في موقف دفاع ، فهو جيش من الطبيعى الا يكون بنفس قوته وكفاءته الهجومية فى الوضع الدفاعى ، واستنادا إلى هذه الحقيقة كان علينا أن نعمل على استغلال هذه الأوضاع والاستفادة منها ،وهو الأمر الذى لن يتحقق إلا إذا امتلكنا نحن المبادأة بالهجوم ووضعنا الجيش الإسرائيلى فى موضع الدفاع.

* ولا يمكن امتلاك المبادأة بالهجوم إلا بخداع العدو بالإعلام العلمى ، بحيث يقتنع بأننا لا نقوى على الهجوم ،كى نضمن الا يقوم هو بالمبادأة بالهجوم علينا كما حدث فى الحروب السابقة .

* وهكذا وضعت كل هذه المعلومات أثناء عرضى لخطة المفاجأة الإستراتيجية على الرئيس السادات ،وبينت أن إسرائيل لديها حساسية خاصة تجاه أى تصريحات إعلامية أو تحركات أو حشد لأى قوات مقابلة لإسرائيل ، وإن وصول معلومات بهذا الشأن إلى إسرائيل يعد كافيا لإعلان التعبئة وتحويل شعب إسرائيل إلى جيش إسرائيل ، دون أى اعتبار لوجود نوايا للهجوم على القوات الإسرائيلية.ولذلك يجب علينا تبنى المفاجأة الإستراتيجية وتنفيذها بواسطة خطة إعلامية متكاملة – وقد وافق الرئيس السادات على هذه الخطة السرية التى لا يعلمها إلا هو شخصيا .

المبحث السادس
عناصر الخطة الإعلامية المتكاملة

* قمنا بجمع التصريحات والتعليقات التى صدرت عن القيادات الإسرائيلية خاصة العسكرية منها منذ يونيو 1967 وحتى عام 1973، وكذلك متابعة كل الكتب الإسرائيلية التاريخية والعسكرية والتقارير والمعلومات الواردة عن المواقف والأنشطة التى يشارك فيها المسئولين العسكريين الإسرائيليين سواء داخل إسرائيل أو خارجها، وتمكنا من جمع كم كبير من المعلومات الهامة المتعلقة بهذا السبب.

– وبعد الانتهاء من جمع المعلومات قمنا بتحليلها وكانت تشير إلى أن الغرور والغطرسة قتلت تفكير القادة وأولهم موشى ديان – فمع انتهاء حرب 1967 أخذ الجيش الإسرائيلى يحيا حياة ملؤها الغرور بسبب نشوة النصر ،ولم يكن هناك حد لسير المديح الذى اغدق من كل جانب ،سواء من فئات المجتمع الإسرائيلى المختلفة أو من وسائل الإعلام الإسرائيلية والعالمية التى صورت الجيش الإسرائيلى بأنه الجيش الذى لا يقهر ،وإن انتصاره فى حرب 1967 يعد من أعظم الانتصارات العسكرية فى التاريخ الحديث.

*وكان على رأس من نالوا المديح والتقدير كبار قادة الجيش الإسرائيلى الذين كـانو يتنقلـون من موكب مجد إلى موكب مجد آخر ، تتصدر صورهم ألبومات الصـور التـى طبعتهـا إسـرائيل وغمرت بها العالم أجمع عن إنجازاتها فى حرب 1967 ،وكانت وسائل الإعلام الإسرائيلية تضعهم فى حالة ضوئية هائلة أقرب إلى التقديس منها إلى التقدير والإعجـاب، وأصـبح كبـار الضـباط فى الجيش الإسرائيلى يحظون بشهرة أوسع من شهرة نجوم السينما، وعرف كل مواطن فى إسـرائيل ضباط الجيش معرفة شبه كاملة، وبدأ كبار الضـباط فى معرفـة الطريـق إلى المقـالات الصـحفية والإذاعيـة والتليفزيونيـة ، الأمـر الـذى أوجـد نوعـا مـن التسـابق بـين القـادة وكبـار الضـباط الإسرائيليين على الشهرة.

* وقد سيطرت تلـك الشـهرة عـلى كبـار ضـباط الجـيش ووصـلوا إلى درجـة مـن الغـرور والغطرسة التى جعلت الجنرال أريل شارون يصرح فى 26 يوليـو عـام 1973 أى قبـل الحـرب بشهور قليلة قائلا –إن إسرائيل أصبحت فى موقف التفوق الحربى –وقال«إن كل جيوش الـدول الأوربية أضعف منا .. فإسرائيل يمكنها فى غضون أسبوع واحد ،أن تخضع المنطقة الممتدة مـن الخرطوم حتى الجزائر وبغداد.

All the forces of European countries are weaker than we are Israel can conquer in one week the area from K hartoum to Baghdad and Algeria

* فى الوقت الذى كان يحدث فيه هذا داخل إسرائيل كنـا نراقـب الأمـور عـن كثـب فى طـى الكتمان والسرية بعد تغيير الإستراتيجيات الإعلامية التى كانت سائدة قبل 5 يونيو وكنـا نرصـد كل الأمور بدقة واستطعنا أن نكرس لدى العقيـدة العسـكرية الإسـرائيلية والـداخل الإسـرائيلى الغربى أننا جثة هامدة وكل ما نقوم به من تحركات أو تصريحات عن حـرب تحريـر الأرض مـا هى إلا مناورات للاستهلاك المحلى ولتهدئة الداخل الغاضب ولا يمكن أن تتطور تلـك الأمـور لحرب حقيقية وإلا سنكون قد حكمنا على أنفسنا بالإبادة كما كان يصرح القـادة العسـكريين فى إسرائيل لوسائل الإعلام وقد كـان لانخـراطهم فى الجانـب الإعلامـى دور كبيـر فى بنـاء ركـائز وخطط الحرب القادمة ،فقد كانت تلك التصريحات الكثيرة مفيدة جدا بالنسبة لنا ، وقد تكونت لديهم عقيدة بأن العرب أمة لا تقرأ وإذا قرأت لا تفهم، ففى الوقت الذى ملأت فيه تصـريحاتهم الصـحف والمجـلات ومحطـات الإذاعـة والتليفزيـون كنـا نتحـدث مـع العـالم عـن ضـرورة المفاوضات ومعالجة الوضع القائم من اللا سـلم والـلا حـرب وكـم كنـا نسـمع مـن عبـارات السخرية والمهانـة ....ويقـول مؤلفـوا كتـاب « التقصـير» الصـحفيين السـبعة (يشـعيا هـو بـن فورت.عضو هيئة تحرير صحيفة يديعوت أحرنوت ،يوهنتان غيفى – مراسل صـحيفة معـاريف ،أورى وان –المراسل العسكرى لصحيفة معاريف والحاضر فى جميع المعـارك مـع مصـر،ايتان هيفر المراسل العسكرى لصحيفة يديعوت أحرنوت ،

هيزى كرمل – مراسل مجلة Express الفرنسية وكان قنصل إسرائيل فى لوس انجلوس وكان مع قوات المظلات الإسرائيلية خلال حرب الغفران ،ايلى لندوا – المراسل العسكرى لمعاريف والذى رافق القوات الإسرائيلية فى حرب يونيو وخلال حرب الاستنزاف وفى حرب يوم الغفران ، ايلى تابور – محرر مجلة هعولام هازيه وعاصر خمسة حروب) يقول مؤلفوا الكتاب «إن الجنرالات أحبوا مشاهدة صورهم تنشر فى الألبومات والصحف ،ولم يفوتوا أية مناسبة عامة دون الظهور فيها أمام الجمهور ،فقد أصبحوا نجوما لامعة تحولت مع الوقت إلى بهرجة يستحيل التنازل عنها فى أى حدث إجتماعى ،حفلة كوكتيل ، عرض افتتاحى ، او افتتاح معرض صور ، وأصبحوا زبائن دائمين لدى أفخم المطاعم بإسرائيل ، وقد وصل التمادى بأحد الجنرالات إلى حد الاشتراك فى الافتتاح العلنى لوكالة لمنتجات التجميل.

وفى هذا التوقيت ارتأت نساء الوسط الرفيع فى مجتمع تل أبيب أن من واجبهن دعوة جنرال أو اثنين على الأقل إلى الحفلات التى يقمنها أيام الجمع ،ومن تنجح فى دعوة جنرال أكبر وأكثر أهمية تكون قد حظيت بنصر إجتماعى كبير فى هذا الأسبوع ،وكانت تهتم طبعا بتسريب خبر عن تلك الدعوة إلى زاوية الإشاعات الملائمة لإثارة حفيظة الأخريات!!

ولم يكن هذا الوضع قائما فى إسرائيل فقط بل خارجها أيضا ، فقد كانت المعلومات المتوافرة لدينا توضح أنه عندما يسافر أحد كبار الضباط الإسرائيليين إل الخارج كان يحظى باهتمام كبيـر ، سواء من اليهود الإسرائيليين بالخارج أو من وسائل الإعلام الأجنبية .،وسـيطرت عـلى ذهـن القيادات الإسرائيلية فكرة متضخمة عن الذات وتراكمت الغطرسة إلى حـدها الأقصـى ،ونجـح موشيه ديان فى خلق صـورة عـن نفسـه سـواء داخـل إسـرائيل أو خارجهـا تشـير ملامحهـا إلى أن(موشيه ديان عبقرى لا يمكن خداعه أو هزيمته) ، وانتشرت تلـك السـمات التـى أوجـدوها لأنفسهم داخل القطاعـات المختلفـة ، حتـى أن جهـاز المخـابرات قـد أوجـد لنفسـه مسـمى وأسطورة تقول أنه أذكى جهاز مخابرات فى العالم ،بل أستغل الأسطوة الإعلامية فى العالم لتسويق هذه الأسـطورة، وبالتـدريج أصـبحت إسـرائيل تعـيش فى حمايـة وتحـت قيـادة مجموعـة مـن الشخصيات غير العادية ، سواء كما يـرى هـؤلاء المسـئولين أنفسـهم ،أو كمـا يـراهم الشـعب الإسرائيلى شخصيات أسطورية لا يمكن هزيمتها .

* مع مثل هذة العقليات والشخصيات التى تشغل المناصب القياديـة فى إسـرائيل خاصـة فى الجيش الإسرائيلى ، كان لا بد من استغلال هذه الصفات لتحقيـق عنصـر المفاجـأة والمبـادرة، بمعنى إعطائهم الفرص والمناسبات والمواقف التى تتيح لهم امتلاك مساحة أكبر لإظهار ثقتهم بأنفسهم وزيادة إيمانهم بقدراتهم التى لا تقهر ،وإعطائهم ما يؤكد لهم باستمرار أنهم على حـق فى ذلك من خلال إقناعهم بمدى الضعف الذى تعانى منه القدرة والإرادة المصـرية ، مـع تسـريب لفتات منا يوضح اعترافنا بقوتهم حتى نتيح لأنفسنا التجهيـز الكامـل للحـرب ، ولم يكـن هـذا ليتحقق إلا من خلال خطة متكاملة للخداع والتمويه قام بها الإعلام المصرى تزيدهم

المبحث السابع
خطة الإعلام التي حققت المفاجأة الإستراتيجية

الجيش الإسرائيلى بنى خططه الأمنية على عقيدة الهجوم ولم تتدرب إسرائيل منذ إنشائها على الدفاع ومن هذا المنطلق كانت خطتنا الإعلامية بأن تتبع مصر وسائل وأساليب الإعلام لخداع وتضليل إسرائيل ، وأن تتبع مصر زمام المبادأة متبعة مبدأ المفاجأة الإستراتيجية المبنية على السرية التامة بين رئيس الجمهورية وشخص واحد فقط لينفذها.، وكان أهم عناصر تلك الخطة – وضع الهدف الإستراتيجى المراد تحقيقه وهو النصر فى الحرب، فى الوقت ذاته إيجاد هدف مخادع لتحويل الأنظار إليه بعيدا عن الهدف الإستراتيجى وهو أننا استطعنا أن نجعل إسرائيل والعالم يقتنعون بأنه لا سبيل أمامنا سوى التسوية السلمية ،بالإضافة إلى التحكم المركزى والرية التامة والسيطرة على المعلومات الصادرة عن مصر فلا ينشر خبر أو مقال أو تصريح أو معلومة إلا بموافقة الرقابة ،والرقابة هنا فى يد شخص واحد هو المسئول عن تنفيذ خطة المفاجئة الإستراتيجية، وهذا ما حدث بالفعل فقد كنت أحتفظ بمنصب وزير الإعلام والرقيب العام على كل البرقيات الصادرة من مصر وعلى كل ما تنشرة الصحافة المصرية ، وكل ما يذاع أو يبث فى الإذاعة والتليفزيون ،وكنت المسئول عن تحديد ما ينشر وما لا ينشر ، ومسئول عن تحديد المعلومات التى تعلن والشخصيات التى تنسب إليها هذه المعلومات والتوقيت الذى يتم فيه ذلك.

وأذكر هنا العديد من التصريحات صدرت عن العديد من المسئولين المصريين فى العديد من الاجتماعات واللقاءات وقد أخذهم الحماس ، فتجد المسئول يقول إن مصر تعد كل الإمكانات للحرب وضرب إسرائيل ، وفى ا ليوم الثانى لا يجد أى إشارة إلى هذا التصريح أو إلى تلك الخطبة الحماسية او حتى تعليق عليها فى وسائل الإعلام المختلفة ، وعندما يسأل يكون الرد أن الرقابة منعت النشر ، وكنت أواجه مشاعر الاستياء من هؤلاء المسئولين أو الأصدقاء الأمر الذى جعل نظرات الاستياء تزداد لى يوما بع يوم لاننى كنت على يقين أن كل شىء سيزول بعد لحظات العبور الأولى .

ومن عناصر الخطة ايضا :إيجاد منطقة من الظلام المعلوماتى لدى إسرائيل وذلك من خلال إضفاء كامل السرية والغموض على أنباء أو أحداث معينة ، وفى بعض الأحيان كنا نحاول إضفاء السرية على أحداث معينة بهدف جذب إسرائيل إلى الاهتمام بها أكثر مما يجب ، واستغلال ذلك لإبعادها عن أحداث أخرى .

وكذا استخدام أساليب الخداع والتمويه الإعلامى ، فعلى سبيل المثال كنا نركز على معلومات بعينها ونضخمها ، وفى المقابل نهون من معلومات أخرى وفى بعض الأحيان كنا نقدم معلومات متناقضة وتقديرات متعارضة وندفع إسرائيل للانشغال بتفسيرها ، كما كنا نصدر معلومات عن مصر من القاهرة ومن أماكن أخرى كبعض العواصم العربية والأوربية ، أو من خلال مسئولي بعض الدول الذين يتظاهرون بالصداقة لنا فى حين يبغون التعرف على لإبلاغ إسرائيل،ومع تطبيق تلك العناصر منفردة

أو مجتمعة كنا نقوم بالمتابعة المستمرة لمعرفة مدى تـأثير أسـاليب الخـداع والتمويـه عـلى العدو، وذلك من خلال متابعة المعلومات والتصـريحات الصـادرة مـن أو عـن إسـرائيل فيمـا يتعلق بالإنباء والمعلومات التى استخدمناها فى أعمال الخداع والتمويه ،وتحديد مدى ما حققته من من نجاح أو فشل ، ومراجعة الأساليب أولا بأول ، وابتكار أساليب جديدة بسيطة أو معقـدة استنادا إلى نتائج التجارب والأساليب القائمة.

المبحث الثامن
استخدام أساليب الحرب النفسية

كانت وسيلتنا فى الإذاعة العبرية التى أنشأناها وجعلناها تبث من القاهرة دون أن يعرف أحـد وجودها ، وتستهدف الشعب الإسرائيلي وبخاصة شريحة الشباب ، وكانت الإذاعة تحمل رسالة إعلامية تقول «إن الحرب إثم كبير حرمته الأديان المختلفة، وإن اليهودية والمسيحية والإسـلام أديان سماوية موحدة ترفض الحرب والقتل والدم ،وان السبب فيما يحدث فى الشرق الأوسـط ليس بسبب العرب وليس بسبب الشعب الإسرائيلي ، بل بسبب قلـة مـن المسـئولين والقيـادات الإسرائيلية التى ترى فى استمرار حالة الحرب وضعا معززا لمكانتهـا حتـى لـو كـان ذلـك عـلى حساب دماء الأبرياء ، وقادة إسرائيل منذ بن جوريون حتى جولدا مائير عددهم قليـل وهـدفهم البقاء فى الحكم، ومن ثم آن الأوان للعـيش فى سـلام والتنديـد بـالحرب »، وقـد نجحـت هـذة الإذاعة العبرية فى إيجاد شريحة ليست بقليلة من المستمعين الإسرائيليين ، وكانت تذيع أحـدث الأغانى والموسيقى التى يحب الشباب الاستماع إليها.

وعلى الجانب الآخر زادت هذه الفذاعة من مشاعر الغرور والصلف لدى الإسرائيليين ،فلـم نهاجم فيها الشعب الإسرائيلي ولا اليهودية وإنما نهاجم الصهيونية والقائمين عليها الـذين جـروا الإسرائيليين والعرب للحرب.

وكان من بنود أساليب الحرب النفسية أن نتجاهل الأنشطة والتصريحات الإسرائيلية ذات الصلة بالحرب ،وأذكر هنا أنه فى بداية عام 1973 توافرت لدينا معلومات أن إسرائيل ستجرى مناورة عسكرية لبعض تشكيلاتها الموجودة فى سيناء فى صيف نفس العام ولكن ليس هناك موعد محدد لإجراء المناورة ، وفى مايو 1973 أعلنت إسرائيل عن مناورة مفاجئة لها فى سيناء ، وكان المفترض أن يصدر عن مصر رد فعل مناسب على هذا الخبر ،ولكن جاء رد فعلنا سلبى للغاية ، بمعنى اننا تجاهلنا تماما الأنباء والتعليقات الخاصة بالمناورة الإسرائيلية فى سيناء ،على الرغم من ان المناورة استغرقت أسبوعين وعلى مراى ومسمع من قواتنا المسلحة غرب القناة، وهذا التجاهل المتعمد كان له اثر فى خداع إسرائيل وتضليلها فيما يتعلق بنوايا وقدرات مصر ،وكان من آثار رد فعلنا السلبى أن زاد إيمان إسرائيل بعجز مصر عن القيام بأى رد فعل فى تلك الفترة، فى الوقت ذاته كنا نعمل بسريى تامة لتأمين الاحتياجات الإستراتجية للجبهة الداخلية والخارجية عند اندلاع الحرب وأثناءها وبعدها ، وهذه العملية تمت طوال عام الإعداد للحرب ،وكان هذا التأمين يغطى محافظات مصر المختلفة ،وتم إنشاء مستودعات مخازن لهذا الغرض بأسلوب التبادل – جزء يكون معروفا ويستخدم بالطاقة الدنيا له ، وجزء غير معروف ويستخدم بطاقة شبة كاملة، وهذا كان من أسرار النجاح وعدم وجود طوابير أثناء الحرب.

* ومن أحد عناصر تحقيق المفاجئة الإستراتيجية أيضا أننا قمنا باستغلال الحملة الدعائية الإسرائيلية بعد 1967 حيث قامت إسرائيل بحملة دعائية ونفسية كبيرة بتخطيط وإشراف من مدير المخابرات حينها – يهوشناط هاركابى – كان هدفها القضاء على ما تبقى من الشخصية العربية وجعلها تستسلم نفسيا أمام إسرائيل ، وارتكزت الحملة على عدة دعاوى ومزاعم أخذوا يروجون لها عالميا طامعين أن يجسدوها حقيقة نفسية واقعة ، واستخدموا فى ذلك الإعلام الدولى الذى يسيطر علية اليهود فى معظم أنحاء العالم وغلفوا هذه الدعاوى والمزاعم بغلاف علمى وحشدوا كل الإمكانات لإنجاح مخططهم وأهمها:

– العرب كأفراد وشعوب ودول لا يعرفون أو يقدرون معنى العمل الجماعى بل على العكس يقدرون العمل الفردى انطلاقا من شعور دفين بعدم الثقة والخيانة بين العربى والآخر.

– العرب ليسو عقلانيين بل تحكم تصرفاتهم المشاعر الهوجاء فهم عاطفيون إلى أبعد الحدود وغير عقلانيين إلى ابعد الحدود أيضا.

– العرب من الأجناس المتخلفة التى تفتقد الاهتمام بمعايير العمل والكفاءة ، فهم كأفراد وحكومات وشعوب لا يقدرون معيار الكفاءة سواء وقت السلم والبناء او حتى وقت الحرب ، وذلك لميراث دفين فى شخصية العربى .

– عقول العرب تفتقد القدرة على التفكير السليم ومن ثم المبادرة والابتكار وذلك لنقص يعيبها ، وهو نقص ملازم لها وما حدث فى عام 1967 كانت نتائج طبيعية لإسرائيل فى مواجهة مثل هذه العقول الصدئة العاجزة عن التفكير والتقدير السليم والتى تخلت عن إمكانيات المبادرة والابتكار.

- إن العرب يمثلون عبئا على الإنسانية وليس إضافة لها وما حدث فى عام 1967 الخطوة الأولى لإخراج هؤلاء العرب من التاريخ لأنهم لا يستحقون إلا هذا المصير.

- وكانت تلك الحرب الدعائية والنفسية الإسرائيلية تريد إقناع العرب بان يونيو 1967 كانت الهزيمة النهائية لهم وليس بمقدورهم أن يقفوا على أقدامهم مرة أخرى فقد أصبحوا جثة هامدة فى مواجهة قوة كبيرة متطورة اسمها إسرائيل تستطيع أن تفعل بالعرب وبأراضيهم ما تشاء .

* أخذنا فى التعامل مع تلك المزاعم بالتأكيد أن المفاجأة الإستراتيجية تمثل قلب خطة إعداد الدولة للحرب ، ومن ثم توجهنا إلى تأكيد تلك الدعاوى والمزاعم الإسرائيلية لإقناعهم بان ما يقولونه ويصفون به العرب صحيح وواقع حقيقى وكذا ما يقولونه عن قوتهم واقع حقيقى ، وكانت هذه إحدى الأدوات التى استخدمت فى تنفيذ خطة المفاجئة الإستراتيجية ، وكانت تتكشف لنا الأمور يوما بعد يوم عن مدى تأثير ذلك المخدر المسمى (الثقة العمياء بالقدرات الذاتية فى مواجهة ضعف وانهيار عربى) على عقول وتصرفات المسئولين الإسرائيليين أنفسهم والذى تأكد فى انتصارات أكتوبر التى كانت الرد الوحيد القادر على اجتثاث هذه الحملة الإسرائيلية من ركزنا فى خطة المفاجأة الإستراتيجية على تحويل أنظار المسئولين الإسرائيليين من التركيز على المعلومات المادية إلى التركيز على النوايا والقدرات الحقيقة ، حين يقررون إعلان التعبة العامة وهذا الأمر بالغ الأهمية ، لان الأيام القليلة التى تسبق أى حرب نشنها ضد إسرائيل لابد وان تتضمن تحركات وإعادة توزيع وحركة غير عادية تكون كافية لإسرائيل لإعلان التعبئة ومن ثم انتفاء عنصر المفاجأة التى كانت تعتمد عليها الخطة المصرية بشكل كبير.

* وكانت خطة الخداع الإستراتيجية تهدف على تحقيق ما سبق بالإضافة عنصر مهم موجه أساسا إلى مسئولى إسرائيل وهو جعل مسألة التعبئة العامة واستدعاء الاحتياط مسألة ثقيلة على كاهل المسئولين وجعلها خيارا تاليا لخيارات أخرى وليس هو الخيار الاول كما كان، وتم تنفيذ هذا الأمر من خلال الاستفادة مما حدث فى فى عامى 1972،1971 فيما يخص المناورات المصرية أو التدريبات ، او اى أنشطة مصرية لقيت اهتمام ولفتت انتباه إسرائيل ، مع البناء على هذه الأمور لتدعيم ما نريد توصيله إلى المسئولين فى إسرائيل، وقد استطعنا أيضا ان نوصل لإسرائيل خلال عام 1973 معلومات عن نوايانا باننا سنحارب فى وقت معين ، وهو ما حدث فى شهر مايو ثم شهر أغسطس 1973، وفى الحالتين أسرعت إسرائيل بإعلان التعبئة العامة والاستدعاء الكامل لقوات الاحتياط ، فى حين كانت القوات المصرية حالة الاسترخاء شبة التام، حيث كنا نوصل إليهم تلك المعلومات بشكل غير مباشر ، سواء عن طريق مسئولى بعض الدول التى تتظاهر بصداقتنا فى حين أنهم يريدون التعرف على نوايانا لإبلاغها لإسرائيل ، أو من خلال بث أنباء متفرقة مختلفة المصادر فى بعض العواصم العربية والأجنبية عن استعداد مصر للحرب فى مايو 1973، وإعلان ذلك فى شهر أغسطس.

– وكان إعلان التعبئة العامة فى إسرائيل يتم فى الوقت الذى بدأنا فيه خطة المفاجأة الإستراتيجية «الخداع الإعلامى» والتى كانت نتائج نجاحها قد بدأت تظهر فى إقناع العالم وإسرائيل بأن مصر لن تدخل الحرب على الأقل فى المستقبل القريب ، خصوصا وأن المجتمع والسياسة الإسرائيلية أصبح من الصعب عليها تقبل الإعلانات المتكررة لحالات التعبئة العامة ، حيث أن تنفيذ التعبئة العامة يكلف إسرائيل عشرة ملايين دولار فى كل مرة ، حيث أن هذا المبلغ ليس بسيطا فى تلك الفترة بالنسبة لظروف إسرائيل ، ونجحت خطة الخداع والتمويه فى جعل مسألة إعلان التعبئة مسألة ثقيلة للحد الذى جعل جولدا مائير– رئيسه وزراء إسرائيل تجتمع مع وزير دفاعها – موشيه ديان – وأبلغته بان تكلفة تنفيذ التعبئة العامة المالية والمعنوية على الشعب الإسرائيلي تكلفة عالية وعلى العسكريين أن يتيقنوا من جدية ما يدفعهم إلى إعلان التعبئة العامة التى توقف كل الأعمال فى إسرائيل .

المبحث التاسع
أيام قبل الحرب

* قبل أيام من بدء الحرب اجتمعت جولدا مائير مع مسئول عربى كبير وقا بتنبيهها بأن مصر وسوريا يزمعان القيام بعمل عسكرى قريبا ضد إسرائيل ،إلا أن جولدا مائير لم تأخذ هـذا التحـذير عـلى محمـل الجد «كما جاء فى الكتب الإسرائيلية بعد الحرب والتى وصـفت تلـك الشخصـية العربيـة بالصـديقة» وذلك لقناعتها الزائفة التى أوجدناها لديها بان احتمال الحرب بعيد أو هـو أمـر لا تقـوى عليـه مصـر، ويعترف الإسرائيليين أنهم علموا قبل ساعات من بدء المعارك أن هنـاك تحركـات مصـرية تـتم وغنهـا تحركات تستدعى إعلان التعبئة ، إلا أن حالة الغموض وعدم التأكيـد مـن هـدف التحركـات فى إطـار التأكيد المعلوماتى المسبق الذى أوجدناه لديهم بان مصر غير قادرة عـلى الحـرب ، هـذا بالإضـافة إلى التجربتين الخادعتين فى مايو وأغسطس 1973، هذه المعطيات أوجدت لدى الإسـرائيليين نوعـا مـن التانى فى قرار إعلان التعبئة العامة انتظارا لما ستسفر عنه الأحداث ، وذلك لأنهم ركزوا على نوايـا مصـر وقدراتها بالشكل الذى صنعناه لهم.

– الأوضاع الداخلية لها دور كبير فى تحقيق المفاجأة الإستراتيجية ، فقد كانت تلك الأوضاع صعبة للغاية طوال العام الذى سبق حرب أكتوبر 1973 فالجميع غاضب وفقد القدرة على الانتظار أو حتى الاستعداد ، والجميع يريد أن ينهى وضع الجمود من حالة اللاسلم واللاحرب ،وهو ما ترجمته ردود أفعال الجماهير تجاه تشكيل الحكومة الجديدة فى أول عام الحكومة هى حكومة إعداد الدولة للحرب والتى كنت فيها نائبا عن الرئيس السادات لرئاسة الحكومة وإعداد الدولة للحرب وكذا وزير الإعلام ، وقد ساهمت الأحداث والإعلانات فى عامى 1971،1972 بأنهما أعوام الحسم وإنهاء الجمود بأن تجعل الناس يفقدون الثقة تدريجيا فى قدرة الحكومة على فعل أى شىء ، الأمر الذى ترجمته الجماهير فى عدد وحجم المظاهرات الشعبية طوال عام 1973 وقبل أيام قليلة من اندلاع المعارك ، وكانت المظاهرات تردد هتافات معادية للرئيس السادات والحكومة وتصف المسئولين إما بالانهزامية وإما بالخيانة وتوجه لهم أفظع الشتائم ، وقد كانت تلك المظاهرات من الكبر من حيث العدد والحجم ، وتم نقل أحداثها إلى إعلام بعض الدول العربية والأوربية وهذا كان فى الحقيقة جزاء مكملا لخطة الخداع، وكان الهدف من نقلها إلى الإعلام الأجنبى إقناع الجميع وأولهم إسرائيل «أن مصر وإن كانت ترفض الوضع القائم وشعبها يغلى من هذا الوضع ، ولا يطيق تحمله أكثر من ذلك ،إلا أنها عاجزة عن المباداة بعمل عسكرى كبير لاسترداد الأرض المسلوبة والكرامة المهدرة،وإن المسئولين المصريين يدركون ذلك ولا يستطيعون البوح به صراحة ، لكنهم يكتفون ببعض الشعارات والتصريحات الجماهيرية فى البداية ، ثم توقفوا عنها هى الأخرى فى عام

1973 وتوقف أى حديث أو تصريح رسمى عن الحرب ، وبالفعل عبرت وسائل الإعلام الإسرائيلية عن ذلك ، وكانت تهلل مع كل مظاهرة فى مصر بان المسئولين المصريين غير قادرين على إتخاذ قرار العمل الحربى ، لأنهم لو كانوا قادرين لما انتظروا وهم يرون ويسمعون مطالب ومشاعر وغضب الشعب، وهذا التموية والخداع الجما هيرى لم يكن التعامل معه بالأمر السهل وأيضا استغلاله للخداع والتمويه أمر بالغ الصعوبة ،فقد ورثت حكومة أكتوبر التى كنت رئيسها نيابة عن الرئيس السادات حالة اليأس والإحباط منذ هزيمة يونيو 1967 وما بعدها .

- كانت بعض المظاهرات من العنف وتخرج عن الإطار المتوقع لها ، بل وفى احيان كثيرة تأتى بنتائج عكسية عل الروح المعنوية للجيش من ناحية وللشعب بشكل عام من ناحية أخرى ، ومن أصعب المواقف الخاصة بالمظاهرات الجماهيرية عام 1973 تلك التى قادها المثقفون المصريون بشكل غير مباشر من خلال ما عرف وقتها «ببيان المثقفين » ،إذ أن تأثيره كان كبيرا ، وكان يمكن أن يأتى بتداعيات داخلية لا يمكن السيطرة عليها ، وإن كان قد جاء بآثار إيجابية ضمن خطة الخداع الإستراتيجى ، بعد ان تم توزيعه على الصحافة العربية

المبحث العاشر
أخطر مظاهرة.. قبل ثلاثة أيام من المعركة

من سخرية الأقدار وأثناء تواجدى فى منزل الرئيس السادات يوم الأربعاء 3 إكتوبر الساعة 12 ظهرا ، وكان هذا الاجتماع الهام من أجل تحديد المهام النهائية لبدء المعركة ، حيث تقرر نهائيا وبصفة سرية للغاية ان ساعة الصفر هى يوم السبت 6 إكتوبر ، على أن يصدر المهام المطلوبة الخاصة بهذا الموعد المصيرى للأمة – وجدت موظفا من الرئاسة يندفع نحوى ومعه رسالة وقدمها لى بانفعال ظاهر وكانت الرسالة من وزير الداخلية يخطرنى فيها بآخر موقف لمظاهرات الطلبة فى جامعة القاهرة وإنها مندفعة فى السير فى اتجاه منزل الرئيس... وتردد هتافات معادية للرئيس السادات والحكومة ، فاتصلت بوزير الداخلية وأبلغته أن يتعامل مع المظاهرة وفق الأسلوب المتفق عليه وهو الهدوء التام – دون العنف حتى لو استخدم المتظاهرون «الطوب» ضدهم وأخطرته بأن تقف جميع عربات الشرطة المدرعة صفوفا وتقطع الطريق إلى منزل الرئيس، وبعد لقائى مع الرئيس طلبت منه ألا يتواجد فى منزله ،بل من الأفضل أن يكون فى استراحة القناطر بعيدا عن المظاهرات ، حتى يمكن له متابعة الأعمال الحاسمة بهدوء خلا مدة ال 48 ساعة التى سبقت ساعة الصفر فى السادس من إكتوبر ، وانتقل الرئيس بالفعل إلى القناطر ثم إلى قصر الطاهرة ، وفى يوم 6 أكتوبر ذهب إلى القيادة العسكرية العليا لقيادة المعركة.

* تفجرت أزمة طائفية قبل الحرب بين الرئيس السادات والبابا شنودة ، ووقعت بعض الأحداث بين المسلمين والأقباط ، وأتذكر أنها كانت ضمن الأزمات الحادة التى اصطنعت فى الجبهة الداخلية قبل حرب أكتوبر ، فى محاولة لإثارة الفتنة الطائفية ، فحرقت بعض الكنائس فى صعيد مصر بأيدى مجرمة .. وحدثت محاولة وقيعة بين الرئيس السادات وبين البابا شنودة عن طريق نقل أخبار غير صحيحة للرئيس ،وكنت كمسئول أراقب تلك الفتنة ومن ورائها ..ونحن فى أصعب الأيام فكرا وعملا وحذرا فى إعداد الدولة للحرب ، فكنت أرحب بالمظاهرات لأننا نستثمرها إعلاميا من أجل خداع العدو بأننا لا نريد الحرب ...أما أن نرى فتنة طائفية فى الجبهة الداخلية فهذا أمر خطير ويحتاج إلى معالجة سريعة ،فاتصلت بالبابا شنودة سرا واتفقت معه على عقد اجتماع فى منزلى ، وحضر بالفعل ومعه سكرتيرة ميشيلى جرجس والذى أدى دور سريا ومهم فى هذا الموضوع ، وكان الأنبا شنودة قد حمل حقائبه فى إحدى السيارات للتوجة إلى الدير للإقامة فيه بعيدا عن الأحداث المؤلمة ، وبدا الاجتماع وكنت قد أحضرت مراجع إسلامية تتحد ث ضد مزاعم مثيرى الفتنة لأبين لهم أن حرق الكنائس ليس من الإسلام وبالأدلة القرآنية والمواقف التى فعلها وأوصى بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده ،وبعد حديث ودى مطول مع الأنبا شنودة سألته عن سبب الخلاف مع ا لرئيس السادات ؟ فاتضح أن هناك بعضا من المتطرفين المسلمين والأقباط يسعدهم هذا الخلاف ،وبعد ساعة واحدة من الاجتماع اتفقت مع البابا أن يكتب خطابا للرئيس السادات طالبا المقابلة لشرح الموقف .. وكتب البابا شنودة الخطاب ... وطلبت الرئيس السادات تليفونيا وأخبرته أن البابا شنودة معى ففوجئ وقلت أنه كتب خطابا ويطلب موعدا لشرح الموقف وإزالة سوء الفهم الحادث ،وانتهى الاجتماع باقتراح قدمته للرئيس .

.بأن يجتمع غدا مع البابا شنودة والمجلس الملى والمطارنة وأن يكون الحديث مباشرا .. وبعد هذا الاجتماع يعقد اجتماع لكبار أئمة المسلمين فقط ، وكان الهدف من الاجتماعين المنفصلين تحقيق الهدف الوطنى بعد شرح الموقف السياسى مع إسرائيل ... وأهمية وحدة الجبهة الداخلية، وهنا اقترح الرئيس وكذلك البابا شنودة بأن يذهب الرئيس السادات إلى الكنيسة ويلقى خطبة ، وحضرنا مع الرئيس فى الكنيسة وألقى البابا شنودة خطبة رائعة ، وبعد خطبة البابا سمع الرئيس الآذان من مسجد مجاور للكنيسة فقرر أن يصلى صلاة الجماعة فى الكنيسة وهكذا انتهت تلك الفتنة .

* قبل ساعة الصفر بيوم واحد أى يوم 5 أكتوبر تمت خطوة دستورية ممتازة تطبيقا لمبدا تعاون السلطات التنفيذية والتشريعية حينما أصدر الرئيس السادات قرارا هاما بتشكيل لجنة العمل الوطنى العليا وكلفنى برئاستها ،وتضم فى عضويتها : رئيس مجلس الشعب ونواب رئيس الوزراء ووزير الإعلام والخارجية ومستشار الأمن القومى ومدير المخابرات ،وكان سكرتير اللجنة الأستاذ عبد العزيز الشافعى .... وفى نفس الوقت أى قبل المعركة بساعات أخطرنى الرئيس السادات بأن وزير شئون مجلس الوزراء سيكون حلقة الاتصال بين مقر القيادة العسكرية وبينى للاتصال المباشر بشأن أى أخبار يرسلها الرئيس لى أثناء قيادته المعركة من غرفة العمليات ، والقرارات السريعة الحازمة التى يصدرها للقيادة العسكرية حسب تطور الأحداث .. على أن أبلغ بها من خلال خط تليفونى ساخن سرى للغاية ... لإذاعة ما هو مناسب للإذاعة ولكى يتابع الشعب والعالم تطورات المعارك...

وقال الرئيس انور السادات فى اجتماعه معى« اننى سأكون فى الساعة المحددة يوم السبت فى مقر القيادة العسكرية العليا للتفرغ نهائيا لهذه المهمة الخطيرة ،أما العمل الوطنى والمدنى الخاص بالداخل وتطورات الموقف ورد الفعل الإعلامى ورد فعل الحكومات الأجنبية عن المعارك مع إسرائيل ..فأنت رئيس لجنة العمل الوطنى العليا ،وعليك أن تتصرف فيها وتصدر التعليمات الحاسمة ، وهذة مسئوليتك الدستورية فأنت رئيس هذه اللجنة التى ستظل فى حالة انعقاد دائم ليلا ونهارا ،وأنت مؤهل لهذا العمل الصعب فقد تخرجت من كلية الأركان حرب وحاربت فى 1948ولك خبرة سياسية فى مراكز الدولة من 52-1973 » فطمأنت الرئيس بأن كل الترتيبات جاهزة والإعداد جيد والله معنا .

- حسب الوقائع التاريخية فإنه حتى ليلة المعركة لم يكن يعلم عن ساعة الصفر أحد من المدنيين وبعض الوزراء ،بل أرسلت لهم التعليمات يوم السبت 6 أكتوبر بالتواجد وعدم الانصراف من مكاتبهم ، وأن يقيم كل منهم فى وزارته وينتظر التعليمات مع تنفيذ ما سبق ان تقرر فى اجتماعات مجلس الوزراء فى إعداد الدولة للحرب والتى كانت تعقد أسبوعيا وتستمر تسع ساعات أحيانا ، ونعلن بعد الاجتماع أنه تم بحث سياسة وزارة من الوزارات أوحل مشكلة من المشاكل ، بينما حقيقة الأمر هى تخطيط إعداد الدولة للحرب وتوفير كل متطلبات المعركة والحمد لله تم تنفيذ كل شىء حسب التخطيط الموضوع له بنجاح .

المبحث الحادي عشر
النبرة الإعلامية أثناء الحرب

كان الجزء الثانى من الخطة الإعلامية هو كيفية التعامل مع المعطيات والأحداث أثناء المعركـة وقد تم تطبيقها بنجاح ، فى يوم 6 أكتوبر الساعة 12 ظهرا جمعت رجال الإذاعـة والتليفزيـون وكـان البيان الأول قد أعد فى قيادة القوات المسلحة ، وطلبت مـن المـذيعين عمـل بروفـة لإذاعـة البيـان وكانت الخطوط الرئيسية التى وضعتها فى الجزء الثانى ، ان تذاع البيانات والتصـريحات العسـكرية بنبرات طبيعية بعيدا الخطابة والحماس والإثارة ، فالإعلام هو لنقل الأخبار وليس من عملـه صـنع الأخبار – ومن المهم أن نتفادى كل أخطاء إعلام 1967، وان تقتصر إذاعة البيانات على المـذيعين فقط ، ولا داعى أن تقوم المذيعات بالإذاعة خشية الإنفعال ، خصوصا وأنه قد تقع احداث ليس بها انتصارات فيكون من الصعب عليهن التحكم فى مشاعرهن ، وسمحت لهن بإذاعة البيانات بعد يوم 10 أكتوبر بعد ان تحقق النصر ، وأن تكون جميع الأغانى هادئة ولا داعى للصـراخ وافتعـال أناشـيد وطنية لا داعى لها ، هذا بالإضافة إلى الأحاديث عن روعة قواتنا وصلابة الجبهة .

* وقد كان على كاهل خطة الإعـلام أثنـاء الحـرب اسـترداد الثقـة بـين الحكومـة والشـعب وأجهزة الإعلام والتى كان من أهم أسبابها فقدان مصداقية الحكومـة وجهازهـا الإعلامـى منـذ 1967 عندما كانت الإذاعة المصرية تذيع أكاذيب أثناء الهزيمـة ، لـذلك كـان دسـتور الإذاعـة والإعلام عام 1973 هو الصدق والسرعة فى نقل الخبر ، بحيث يستمع المواطن أول خبـر عـن أحداث الحرب بسرعة من مصادر الإعلام المصرية ، وأذكـر عـلى سـبيل المثـال أن المشـير أحمـد إسماعيل أبلغنى أن قواتنا كبدت العدو خسائر فى معركة الدبابات تقدر ب 70 دبابـة – وسـمعت فى إذاعة إسرائيل خبرا عن هذه المعركة بأن إسرائيل خسرت 50 دبابة ، فأذعت انة حدثت معركة بـين الدبابات وخسرت إسـرائيل 30 دبابـة – أى اقـل ممـا أذاعتـه إسـرائيل .. وأخبـرت المشـير أحمـد إسماعيل بعد الإذاعة بأن الهدف من ذلك استرداد الثقة فى أجهزة الإعـلام .. ونشـرت كـل أجهـزة الإعلام العالمية عن مصداقية الإعلام المصرى بينما إسـرائيل تـذيع أكاذيـب ،لأنهـا أذاعـت بأنهـا هشمت عظام الجنود المصريين بينما الجنود المصريين يأسرون الجنود الإسرائيليين .

* وقد استعان الإعلام المصرى فى حرب أكتوبر بمبـادئ الإعـلام الإسـلامى مـن حيـث أن الحرب خدعة ،واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ،إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيـروا مـا بأنفسهم ،وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ،وتعاونوا على البر والتقـوى ،ونشـر مبدأ الإسلام وهو السلام ،وأن الإسلام يحترم أهل الكتاب

، وان من تعلم لغة قوم امن مكرهم ، ومخاطبة كل فئة بما يناسبها ، واستعادة الثقة فى نفـوس الجنود وزيادة حماسهم والارتقاء بمستوى أدائهم وشجاعتهم والثقة فى نصر الله،الحجـة فى الـرد على المزاعم الباطلة للعدو ،والصبر على البلاء مع الثقـة فى الله ،والالتـزام بالصـدق،الحث عـلى الشجاعة والاستعداد للتضحية ، والبعد عن الخوف من النتائج المجهولة .

* نجحت خطتنا الإعلامية فى تهيئة الرأى العام العـالمى لقبـول حـق العـرب فى الـدفاع عـن مصالحهم واسترداد أراضيهم بكل الوسائل المشروعة ، بما فى ذلك القوة المسلحة كملجأ أخير لإزالة العدوان وإشاعة السلام والاستقرار فى المنطقة، مع العمل على عـزل إسـرائيل دوليـا مـن خلال إبراز تعنتها وعدم تنفيذها للقرارات الدولية بإعادة الأراضى المحتلة ،لـذلك عنـدما جـاء السادس من أكتوبر وبدا القتال ، كان الرأى العام العالمى مقدرا لظروفنا التـى دفعتنـا للحـرب ، ومؤيد لنا وملقيا كل اللوم على إسرائيل ، خاصة بعد إظهار أن مصر استنفذت فعلا كل الوسـائل السلمية الممكنة .

المبحث الثاني عشر
الحق ... ما شهد الأعداء

النصر فى السادس من أكتوبر قلب الموازين العسكرية والإعلامية فى العالم ووضع مفاهيم وأسس جديدة لتأثير الإعلام والحروب النفسية على سير الحروب والإعداد للمعارك ، يقول ايلى زعيرا رئيس جهاز الاستخبارات الإسرائيلية فى كتابه «حرب يوم الغفران.. أسطورة فى مواجهة الواقع » عن الجو الهادئ شبه المثالى الذى ساد فى جيش الدفاع الإسرائيلى فى صيف 1973،فهيئة الأركان العامة لم تقم بالاستعدادات لاى حرب ووزارة الدفاع لم تقم باستكمال ما ينقص جيش الدفاع ، كما ان اثنين من قادة المناطق تم استبدالهما فيما بين يونيو وسبتمبر 1973(شموئيل جونين للقيادة الجنوبية – ويونا إفرات للقيادة الوسطى) بل إن أحد الموضوعات الرئيسية التى شغلت هيئة الأركان العامة كان هو اختصار مدة الخدمة الإلزامية ... هل هذا موضوع يشغل هيئة أركان تستعد للحرب؟(ص 154)

– وفى موضع آخر يقول زعيرا وابتداء من شهر يونيو1973 وردت معلومات عن أن السادات أرجأ الحرب الى نهاية السنة ، ثم جاء نبأ صريح يفيد أن السادات أرجأ الحرب إلى نهاية السنة ،هذا النبأ جاء فى بداية شهر سبتمبر اى قبل الحرب بحوالى شهر ، وكان من الممكن الإحساس من خلال هذه المعلومات أيضا أن السادات سوف يؤجل الحرب إلى ما بعد نهاية 1973، ومن المحتمل أن هذه المعلومات إلى جانب حقيقة أنه لم تندلع حرب فى أبريل – مايو .أقنعنا بأن الحرب تأجلت. (ص155)

– وأضاف زعيرا أن هناك سببان على الأقل لتأجيل استدعاء الاحتياط ، كما ظهر من شهادة وزير الدفاع أمام لجنه التحقيق ، ومن كلماته فى مؤتمر طاقم القيادة العليا لتلخيص حرب يوم الغفران وأول تلك الأسباب عسكرى ... فموشيه ديان كان شريكا فى الشعور بالثقة فى الجيش النظامى ،انه سيوقف الهجوم على خط الحدود حتى وصول قوات الاحتياط ، وحتى عن لم تبدأ التعبئة إلا مع بداية الحرب فإن سلاح الطيران سو يعاون القوات البرية بصوره فعالة ، ابتداء من الساعات الأولى للحرب.. وكان كلاهما وهمان عمليان.والسبب الثانى سياسيا ، فقد كان وزير الدفاع يخاف ان يؤدى استدعاء الاحتياط قبل الهجوم المصرى السورى إلى أن تتهم إسرائيل عن بدء هذه الحرب . وكان نظام الدعاية والخداع المصرى السورى فى الأيام السابقة لحرب الغفران قد عمل على إعداد الرأى العام العالمى لتقبل أن أى هجوم مصرى سورى إنما جاء ليسبق أى هجوم إسرائيلى جديد (ص 290).

– وعن تحقق عنصر المفاجأة الإستراتيجية ولا يمكن إنكاره يقول زعيرا :إذا كان وزير الدفاع موشيه ديان قد توصل إلى الاستنتاج فى مايو 1973 انه خلال شهر سوف تهاجم مصر وسوريا فعلية أن يعمل على أن تعد الحكومة الشعب فورا لهذا الاحتمال ، ولكن عندما يكون الوعى القومى غارقا فى سكينة وهدوء السلام طويل المدى ، فإن الحرب التى ستندلع فجأة ستؤدى إلى صدمة وإلى ضياع التوقعات والآمال . وعلى ذلك ففى قائمة مفاجئات حرب يوم الغفران كانت المفاجأة الأولى والكبرى فى خطورتها ،

هى المفاجأة القومية التى جاءت نتيجة عدم تهيئة الشعب لاحتمال حرب قريبة ، رغم ان وزير الدفاع أدعى أنه تنبا بها مسبقا ... وقبل شهور من الحرب كانت الدولة مشغولة بالإعداد للانتخابات ، وأوصى رئيس الأركان وزير الدفاع بخفض مدة الخدمة الإلزامية ثلاثة شهولر وحصل على المصادقة ، وهو الأمر الذى من المؤكد أنه دعم وقوى الشعور بالهدوء والسكينة.(ص: 297،298)

– وفى موضع آخر من الكتاب يقول زعيرا «هل كان هدف المصريين هو أن يخلقوا فى إسرائيل الوهم بأن لديها مصدر معلومات للنوايا يأتى منه إنذار بتوقيت الحرب ؟ هل كانت هذة مبادرة وخطة الرئيس السادات الخاصة ؟لماذا لم تصل معلومات عن سفر الرئيس السادات للقاء الملك فيصل فى أغسطس 1973، ولماذا لم تصل معلومات عن اللقاء السورى المصرى 21-23اغسطس 1973 .. لماذا لم تصل معلومات عن أن السادات قد حدد يوم 22سبتمبر موعدا للحرب فى السادس من أكتوبر؟ لماذا طمأنت المعلومات أجهزة الاستخبارات عن طريق معلومات تفيد بأن السادات أرجأ الحرب إلى نهاية العام ... بقدر ما لدى من معلومات فإن كل ذلك يدل على إمكانية أن المعلومات كانت ضمن عملية الخداع المصرية ». (ص 177-178).

– وفى موضع آخر من الكتاب يقول رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (ص 25):أن هناك معلومات وصلت من مصادر مختلفة عن الحرب وأنها على وشك الإندلاع فى ديسمبر 1972 – والتى لم تندلع ، والمعلومات الكثيرة عن الحرب

التى على وشك الاندلاع فى أبريل – مايو 1973 والتى لم تحدث هى أيضا ، واستنادا إلى كل المذكور عالية تكونت فى هيئة البحوث ثقة بدرجة عالية فى تلك المعلومات التى أفادت بأن مصر وسوريا تتجهان بالفعل للحرب ، لكن ليس قبل تسلم الطائرات والصواريخ من الإتحاد السوفيتى وبالتدريج هبطت وانخفضت صحة سائر المصادر الأخرى التى أبلغت عن تاريخ حرب متوقعة . وذلك بسبب خطة الخداع والمفاجأة الإستراتيجية التى اتبعها شخص ما بجوار الرئيس السادات.، وقال زعيرا: « لقد تبين لنا أن كل موضوعات الإعلام المصري كانت حملة خداع من جانب الرئيس المصري أنور السادات أو شخص بجواره، وأن هذا ليعتبر أكبر نجاح لمصر في حرب يوم الغفران».

*وجاء فى كتاب «التقصير» الذى سبق الإشارة إليه شهادة الجنرال – اسحق رابين – رئيس اركان الجيش الإسرائيلى فى حرب الأيام الستة ، وسفير إسرائيل السابق فى واشنطن ورئيس وزرائها بعد ذلك حيث قال « وقع موشيه ديان ورئيس هيئة الأركان ، ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية فى انغلاق ذهنى ، فقد كانوا اسرى إيمانهم الشديد وتصريحاتهم بأن الحرب مسألة بعيدة وأن المصريين غير قادرين أو غير مؤهلين لخوضها ، وإذا خاضوها حقا فسنكسر عظامهم . إن هذا الانغلاق الذهنى باللغة السيكولوجية ،هو الذى جعلهم لا يصدقون الأنباء المتوفرة لديهم عن الحرب الوشيكة.

– وجاء فى نفس الكتاب بهذا الصدد فى (ص37،36):أنة فى يوم الثلاثاء 2 أكتوبر عندما كانت السيدة مائير فى طريق عودتها إلى إسرائيل ، تسلمت قيادة الجيش الإسرائيلى ووزارة الدفاع معلومات أخرى من الاستخبارات العسكرية عن تعزيز المواقع العسكرية المصرية فى الضفة الغربية من القناة ،كذلك وصلت من مصادر أخرى .كما ذكر من قبل . تحذيرات وإنذارات أخرى جاء فيها بوضوح أن القاهرة تستعد لبدء القتال ،ولكن الاستخبارات العسكرية فى إسرائيل والاستخبارات العسكرية الأمريكية التى تابعت هى أيضا تحركات الجيشين السورى والمصرى ،قدرت كل منهما على إنفراد أن المقصود هو مجرد مناورات الخريف ،على الأقل فى الجانب المصرى.

وقبل عودة رئيسة الوزراء من فيينا إلى إسرائيل ، عقد وزير الدفاع ثانية اجتماعا عسكريا على مستوى عال فى مكتبه ،ونوقش الوضع بتعمق ، لكن أحدا لم يفصح عن التخوف من أن تحركات الجيوش العربية هى للحرب وليس للمناورة ،بيد أن ديان لم يخفف قلقه ، وطلب تقييم الوضع خطيا ، ربما بسبب نظرته المتشائمة بصورة عامة ،وقد جاء الاستنساخ الخطى ،الذى عرض عليه ، ملائما للتقويم الشفهى .وملخصه ثلاث كلمات :احتمال ضئيل للحرب .

– ويوم الأربعاء 3اكتوبر ،عقدت السيدة مائير التى عادت توا من النمسا، اجتماعا على مستوى عال عرف فى أوساط الجمهور ، خلال الحرب ،باسم وزارة الحرب واشترك فى هذا الاجتماع ،بالإضافة لرئيسة الحكومة ، موشيه ديان وزير الدفاع ، وإيجال ألوان نائب رئيسة الحكومة ، وإسرائيل غليلى الوزير بلا وزارة ، والجنرال دافيد العازرا رئيس الأركان ، وكذلك الجنرال ايلى زعيرا رئيس شعبة الاستخبارات ، وأحد كبار ضباطه . وقد وصفت حشود القوات ، خلال النقاش ، بأنها «معززة» ولكنها لا تتخطى الاستعدادات التى تتبع عادة فى المناورات، كما حدث احيانا فى الماضى ، وقد تم التاكيد للمرة الثانية ،ان هناك احتمالا ضئيلا للحرب . كما اتفق على أنه لا لا لزوم لدعوة الاحتياط ، ولم يعترض على هذا القرار أحد من الذين حضروا الاجتماع.

– وقال أيضا الصحفيون السبعة فى كتابهم « التقصير»، إن عدم وجود رد فعل كان نتيجة لخطة التضليل المصرية ، وإن هذا وهذا فقط هو أساس الكارثة التى حدثت فى السادس من أكتوبر 1973.

– وقف ديان وزير الدفاع الإسرائيلي أمام ضابط الجيش الإسرائيلي بعد ثلاثة أسابيع من بداية سريان وقف إطلاق النار في حرب يوم الغفران وكأنه أراد الاعتذار عن التأخير في تعبئة قوات الاحتياط فقال «لم يكن أحد يتوقع حتى صبح يوم الغفران أن تنشب الحرب في ذلك اليوم ولا تبدأ تعبئة الاحتياط قبل ذلك.. فحتى صباح يوم الغفران لم أفكر أنا شخصيًا في أن الحرب ستقع ولم أسمع من أي شخص أن الحرب ستندلع حقًا ...

ولم أكن الوحيد الذي أعتقد ذلك» وأكد وزير الدفاع ديان هذا الكلام مرة ثانية أمام الحكومة الإسرائيلية قائلاً: لم أسمع من أي شخص أنه يعتقد أن الحرب ستندلع في هذا اليوم.

- ولم تكن خيبة الأمل بالنسبة للمخابرات الإسرائيلية فقط بل للأمريكية أيضا ففشل إسرائيل يعتبرونه فشل أمريكى وهذا ما ترجمته كلمات الرئيس الأمريكي نيكسوت في مذكراته: إنها لخيبة أمل كبيرة لكل من المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات الإسرائيلية التي كنا نظن أنها ممتازة، بل إن ما حدث يعد فشلا، فلم نعرف أن الحرب ستندلع إلا قبل ساعات قليلة من اندلاعها.

- ولم يكن هذا رأى نيكسون وديان بل جاء في مذكرات هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية عام 1973 أنه عندما جاء إلى مصر لأول مرة في الأيام الأخيرة من حرب أكتوبر وفي أول لقاء له مع الرئيس السادات قال كيسنجر: سيدي الرئيس قبل أي حديث بيننا أرغب من سيادتكم أن تقول لي كيف أمكن لمصر أن تخدعنا وتخدع مخابراتنا بل وتخدع العالم بهذا التعتيم الإعلامي ... لقد كانت المفاجأة معجزة ولم تحدث لي من قبل في حياتي.

* واعترف اللواء موشى يعالون «كان آخر شيء أفكر فيه فى 1973 هو أنه من الممكن أن تنشب حرب ،وأنى أتذكر النكبة وحرب الغفران ..وأود أن أقول أن عنصر المفاجأة فى حرب عيد الغفران شغلنى لفترة طويلة ، وبتحليلى لمفاجأة الحرب حتى لا أقع فى الخطأ نفسه ، توصلت إلى أنه يمكن أن يحدث هذا لنا مرة أخرى ،وأن الشيء الذى سبب لنا الهزيمة هو الثقة الزائدة بالنفس والغرور ،وأنى الآن أحاول تعليم العاملين معى التواضع...

* وعن الثقة الزائدة بالنفس والتهوين من الغير وهو ما فعلته إسرائيل فى أعقاب حرب العام 1967 يقول اللواء موشيه عيفرى سوكنيك :أننى من الجيل الذى تربى على الإعتقاد بأنه حين تطلق النار فإن العرب يهربون ،وأنه كانت هناك ثقة زائدة بالنفس واستهانة بالعدو ،وكانت حرب الغفران بالنسبة لى بمثابة تحطيم كثير من الأساطير.

* أما الباحث الجامعي الإسرائيلي «شارلز ليبمان» فقال: كانت إسرائيل منذ القدم تحول المآسي والهزائم إلى انتصارات ولكن حرب أكتوبر حطمت هذا الانطباع فلم تصبح إسرائيل قوة إقليمية رئيسية أو دولة آمنة وإلى الأبد. كما قال الجنرال ياكوف هداي الذي كان عضوًا في لجنة التحقيق العسكرية حول ما حدث في حرب أكتوبر «إن مصر وضعت نهاية الثقة الإسرائيلية بأنفسهم كما أنها أنهت تفاؤلهم.

* و في كتابه «السلام المراوغ»قال المحلل العسكري الأمريكي «تريفورن ديوي»: كانت المفاجأة الإستراتيجية هي ثمار تخطيط ماهر وكذا أسلوب الخداع التكتيكي الذي أنتهجه المصريون و السوريون ،أن القيمة الحقيقية لحرب أكتوبر أنها أفرغت نظرية الأمن الإسرائيلي من محتواها وفندت مفاهيم عسكرية ومعتقدات روجت لها إسرائيل عبر ثلاثة عقود من تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، وكان قد صرح الجنرال «إبراهام كامير»

أحد قادة القوات الإسرائيلية بعد انتهاء الحرب «لا يوجد أي فرد في القوات الإسرائيلية على أي مستوى تنبأ بأن مصر ستدخل الحرب حتى جميع تقارير الـ C.I.E المخابرات الأمريكية والموساد الإسرائيلي لم يكن لديها أي اتجاه بأن الحرب ستحدث ولكن حدثت المفاجأة التي هزت إسرائيل هزًا وذلك لأن الإعلام المصري قام بسلسلة من الخداعات «الخطط الخداعية والتعتيم الإعلامي» على استعداد مصر للمعركة طوال عام كامل.

* ولم تكن تحليلات الصحف بعيده عن الاعتراف بالمفاجأة المصرية وخيبة الأمل الإسرائيلية الأمريكية فكتبت صحيفة الأوبزرفر البريطانية في 7/ 10/ 1973 في هذا التاريخ تعليقًا حول الوضع أيام 1976 والوضع الحالي في الشرق الأوسط قائلة «الاختلاف الكبير بين مصر في حربها اليوم ومصر منذ ستة أعوام ،هو أنه في عام 1967 انتشرت حُمى الحرب بين أفراد الشعب المصري قبل أن تبدأ الاشتباكات بحوالي ثلاث أسابيع فقط، وأعطى جهاز الدولة للدعاية صورًا لانتصار عربي ساحق واستمر ذلك حتى أيام الحرب القليلة وتحت تأثير الحملة الدعائية المحمومة كان أفراد الشعب خاضعين لحرب نفسية حقيقية وغير قادرين على تقدير الموقف. ومن كلمات تلك الصحيفة يتضح بجلاء الأسلوب العلمي الذي اتبعه الإعلام المصري في المعركة والذي أعلن عنه أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة وهو يرتكز على دعائم رئيسية كشفت عنها الصحيفة منها: «عدم التهوين بين قوتنا أو قوة العدو ورفع شعار إعرف عدوك، وتقديم صورة حقيقية وصادقة للمواطن عن الموقف

وهو ما جعل الشعب يعرف أين يقف بالضبط دون تهوين أو تهويل، وفي اليوم الرابع من القتال استضافت إذاعة لندن في برنامجها «العالم اليوم» الذي أذيع في الساعة 7.45 مساء ذلك اليوم مستر «فيليب وندسور» المتخصص في العلوم الإستراتيجية ووجه السؤال التالي: هل هناك ما يمكن أن تستخلصه من لهجة البيانات أو الطريقة التي تصدر بها تلك البيانات؟ ورد وندسور بقوله «إن المرء يلاحظ أن ما تعلنه مصر في بياناتها تتسم في واقع الأمر بالاتزان ويبدو واقعيًا جدًا، ومن الواضح أن ما تعلنه مصر في بياناتها معتدل جدًا وعلى الأرجح صادق جدًا.

* ولم تكن الصحافة الأمريكية بعيدة عن هذا التوجه فقال مراسل صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية بالقاهرة «مستر تانر» في رسالته إلى الصحيفة من القاهرة يوم 10 / 10/ 1973 «وأصبحت القاهرة دولة الترانزستور فالقاهريون يستمعون إلى إذاعة لندن وصوت أمريكا والمحطات الأوروبية الأخرى ومحطة الإذاعة المحلية، وخلال الأيام الأولى لبدء القتال عندما كان يحصل أي فرد على أي أنباء كان يسأل بتشكك: من أين استمعت إلى هذه الأنباء؟ واليوم عكس ما كان يحدث في 1967 تمامًا ، فإن معظم المواطنين مقتنعون أن حكومتهم تبلغهم الوقائع الحقيقة تقريبًا عن القتال. وكان هذا اعتراف مراسل أكبر صحيفة أمريكية موالية لإسرائيل بصدق الإعلام المصري في 1973 وتخبط الإعلام الإسرائيلي.

* وشاركت الصحافة اليابانية فى تحليل ونقل معركة الشرق الأوسط فكتب مراسل صحيفة بروتكايل طوكيو بالقاهرة «طاموشيدا»: في يوم 10 / 10 / 1973 يقول: بمقارنة البيانات التي تصدر الآن بتلك التي كانت تصدر أثناء حرب الأيام الستة يونيو 1967، نجد أن البيانات التي تصدر هذه المرة حول المعركة الحالية موثوق بها ويعتمد عليها، وهذه الحقيقة لم يعترف بها المصريون فحسب وإنما الدبلوماسيون والمراقبون الآخرون في القاهرة، وأن مضمون تلك البيانات تؤكد دائمًا ما يعرضه التلفزيون.

* و قالت وكالة الأنباء الفرنسية في برقية لها يوم 10/ 10 / 1973 «ومما يذكر أن لهجة البيانات العسكرية مازالت مقنعة على عكس ما حدث عام 1967، فإن البيانات تشير دائمًا إلى أن هناك ثمة نجاح ولكنها لا تشير إلى النصر الكامل أو تدميرًا للعدو، وهكذا فإن درس 1967 قد أثمر وكل شيء بدى على أن الحكومة المصرية تحسب حساب الأيام القادمة.

* وقال مراسل التليفزيون البريطاني أنه من غير المألوف أن يستسلم موقع بهذا العدد الكبير من المقاتلين وأن ما شاهده جميع المراسلين أمر يعطي الثقة في البلاغات العسكرية المصرية ويؤكد أنها تعتمد على الحقائق؟

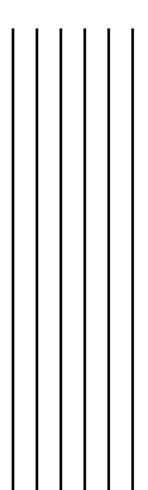
* و قال مراسل وكالة رويترز بالقاهرة أن تنظيم حضور المراسلين الأجانب لعملية استسلام الموقع الإسرائيلي كان أكثر من رائع.

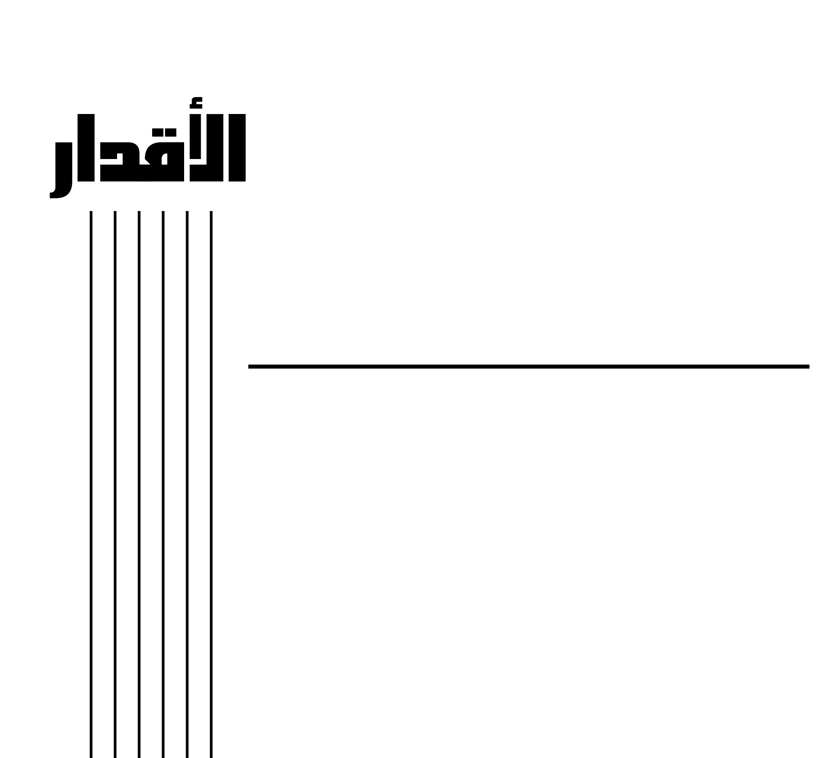
* وكتبت صحيفة التايمز اللندنية على لسان مراسلها بالقاهرة في 14 / 10 / 1973 «لاحظ المراقبون الذين كان بعضهم موجودًا هنا في عام 1967 مدى رزانة الإعلام المصري في نشر أنباء الحرب، ويقول المعلقون المصريون هنا أن أخطاء سنة 1967 عندما كانت أجهزة إعلامنا تغرق في موجة من الانفعالات والهيستريا لن تتكرر وتنعكس هذه المشاعر بوضوح على تصرفات سكان القاهرة الذي يحملون معهم في كل مكان راديوهات الجيب للاستماع إلى الأنباء على الجبهة وهم ينجزون أعمالهم اليومية بأسلوب متزن ويشعر المصريون بثقة في الطريقة التي تنجز بها قواتهم مهامها، وقبلوا بروح طيبة دفع ضريبة إضافية فرضت لمواجهة التكاليف العالية لما وصف بأنها معركة التحرير.

* و نقلت صحيفة الإكسبريس الفرنسية في عددها الصادر يوم 18 / 10 / 1973 تصريح الجنرال« ماني فيليب »أحد القادة الإسرائيليين في جريدة معاريف الإسرائيلية قوله «لطالما هددنا القادة بالأوهام بيد أنه في الوقت الذي تفرغنا فيه لتعلم الكذب تعلم العرب كيف يقاتلون».

* وذكرت إذاعة لندن: في 10 / 10/ 1973 نقلاً عن صحيفة «ليموند» الفرنسية ما يلي «إن القيادة العسكرية الإسرائيلية منعت الصحفيين من إلقاء الأسئلة على الضابط والعسكريين الإسرائيليين وفرضت رقابة شديدة على الأخبار الواردة من سيناء وأضافت أنه بعد أسبوعين من المعارك المريرة المتوجة بالانتصارات العربية أصبح الجيش الإسرائيلي في حاجة إلى ضربة طنانة بعد أن فشل في تحقيق نصر سريع.

الفصل السابع
كنت وزيرًا للثقافة





المبحث الأول
صراع الكبار داخل المجلس الأعلى للثقافة

بعد أن عينت وزيرا للثقافة استدعاني الرئيس عبد الناصر وأبلغنى أن هناك شلة في المجلس الأعلى للثقافة يوزعون جوائز الدولة فيما بينهم دون معايير، وأثناء تواجدي في الوزارة أردت أن أمنح عباس محمود العقاد جائزة الدولة ، وأنا أعلم أن طه حسين لن يرضى ، وكان هناك حب بيني وبين بالدكتور طه حسين، لأن أقدم جامعة في فرنسا كانت تحتفل بعيدها المئوي واختاروا أربع علماء على مستوى العالم كنت واحدًا منهم ،وقد أسعد الدكتور طه حسين هذا الاختيار وكلمني وقال لي «أنا أخذت جائزة من فرنسا وكويس إنك أنت أخذت نفس الجائزة لأنه لا يوجد في العالم العربي من أخذ تلك الجوائز إلا أنا وأنت» وقد كان د. طه يحب الفلوس، وفي عام 1956 قلت له يا دكتور طه اكتب لنا مقالة فى مجلة مصلحة الاستعلامات فقال لي «بكام» فقلت له «اللي انت عاوزه» فقال «أنا لا آخذ إلا كذا» ولم أكن وقتها أعرف الكثير عن النظام المدني وكنت وقتها منقولا من مدير مكتب عبد الناصر إلى مصلحة الاستعلامات، فأتيت بالرجل مدير الميزانية وقلت له نريد مبلغ 100 جنيه علشان الدكتور طه حسين ونحن في حرب الآن وهيكتب لنا مقالة عن مصر والحالة التي نعيش فيها، فإذا بالرجل يسألني «وفين المقال» فقلت له المقالة ستأتي بعد دفع الفلوس

فقال لي «قانون اللائحة المالية يقول لابد من استثمارة 111ع. ح ويتم إدخالها المخزن وبعد خروجها وإعطائه الفلوس يبقى نعمل استثمارة 112 ع. ح» فقلت له استثمارة إيه وطلبت منه أن يأتي باللائحة لكي أقرأها وجلست أقرأ في أساليب البيروقراطيات فوجدت فيها مادة تقول يجوز لمدير المصلحة أن يأخذ سلفة للصرف منها في الأمور العاجلة فطلبت منه أن يعطيني 500 جنيه من تلك السلفة ، وكلمت الدكتور طه وقلت له «هل كتبت المقالة فقال لم أكتب حتى أحصل على ثمن ما أكتب» ... وفي حديثي معه قلت له يا دكتور طه إذا سمحت نريد إعطاء عباس العقاد جائزة الدولة التقديرية فقال لي «هل تعطي هذه الجائزة لرجل لا يحمل أي شهادة من الحكومة المصرية في التعليم» فقلت له «هذا عباس العقاد» ودخلت له من باب السياسة وقلت له «سياسيًا نحن نريد أن نبرز الأدباء في العالم العربي وأخذت أعدد محاسن العقاد» فقال لي «من أجل خاطرك أنا سأوافق وفي أثناء الجلسة »فقام عباس العقاد وقال أستأذن سيادة الرئيس حتى يكون هناك حرية في إعطاء الجائزة، فتدخلت وقلت الكلمة الآن للدكتور طه حسين فقال «إذا لم نعطي عباس العقاد جائزة ... فلمن نعطيها» فقلت للعقاد «ستلقي كلمة أمام الرئيس جمال عبد الناصر فقال لي سأكتبها وأعرضها عليك قبل إلقائها فكتب يقول »لقد تشرفت جائزة الدولة التقديرية بإعطائي هذا، فهذا شرف لها قبل أن يكون شرفًا لي« وقبل أن يلقي كلمته نظر لي وجاءني وقال »حبي لك شديد وهل يرضيك الميكرفون أمام الرئيس، وقاموا بإنزاله من أجل أن يقف عباس العقاد منحنيا أمام الرئيس ... فقلت له سأرفع الميكرفون».

وكان العقاد صديقًا لأنيس منصور الذي جاء في أحد المرات وقال لي «العقاد »،حالته الصحية سيئة وليس معه فلوس فقلت له عندي بند في الميزانية سوف أعطي له مبلغ لشراء بعض الكتب ويشاء القدر أنني فهمت أن العقاد سوف يأتي إلى هنا، ولكنني فوجئت بمصطفى أمين يتصل بي ويقول «لماذا لم تذهب لمقابلة العقاد.. اذهب له في بيته ، فقلت له أنا حاطط الفلوس في ظرف وعندما يأتي سوف أعطيها له فقال لي مصطفى أمين «لا» دا العقاد قال «عباس العقاد لا يستجدي الحكومة والحكومة هي التي تأتي إليّ ولا أذهب إليها وقفل الباب».

المبحث الثاني
للثقافة وطن والعلم لا وطن له

عندما توليت الثقافة وضعت نصب عيني تنشيط جوانبها المتعددة وانتبهت إلى الدور الفعال ، فهناك إنتاج سينمائى ومسرحى يؤرخ ويعبر عن قضايا نا كمصر وكأمة عربية، فعرضت الأمر على الرئيس عبد الناصر فوافق وقال لى اشتغل ،فجئنا بالممثلين الذين كان أغلبهم يعمل خارج مصر في تركيا وغيرها من الدول، وقمت بعمل عشر فرق مسرحية متخصصة مثل «المسرح الكوميدي والمسرح العالمي والمسرح الحديث من أجل الرأي العام... إلخ، وأوجدت نوع من المتعة لدى الرأي العام بمختلف فئاته وكما نقول دائمًا »فإن العلم لا وطن له ولكن للثقافة وطن« ولا يمكن للثقافة أن ترتقي إلا إذا كان لها وسائل إعلام وإلا ستنحصر فكانت الفكرة الأساسية أنه لابد أن يكون هناك ملازم للثقافة بأنواعها المختلفة وسائل وخصوصًا في شعب متعدد الثقافات ويحتاج إلى ثقافات مختلفة فيجب أن تغطي كل الرأي العام وعندما انتشرت وجدت جميع الفنانين الذين كانوا يعملون بالخارج اليوم هم الذين يقودون المسرح.

عادل إمام ود. حاتم

وقد صنع الإنتاج القومى فى المسرح والسينما أجيالا منهم من رحل ومنهم من يعتلى قمة الهرم الآن وقد ربطتنى بعادل إمام علاقة طيبة إلى الآن منذ ان كان يعمل فى المسرح القومى فحتى الآن لا يدخل عادل إمام في عزاء أو يراني في مكان إلا ويقبل يدي وعلاقته بي ترجع لعدة عقود، فقد طلبته من على المسرح عندما كان مع فؤاد المهندس في مسرحة« السكرتير الفني »عندما كان يؤدي دوره كسكرتير محامي لفؤاد المهندس وأتى عملاء المكتب وأخذ عادل إمام يتحدث معهم بنوع من التعالي كوكيل للمحامي. فسأله أحد الزباين في المكتب «إنت بتشتغل إيه ... فقال له أنا كل حاجة .. فقال له إنت المحامي فقال له لا أنا وكيله» وأثناء مشاهدتي لهذا المشهد فأنا كنت أراقب المسرح لأن هناك شتائم وأشياء أخرى لدى الشعب المصري ويعتبروها عادي فأنا مهمتي كوزير إعلامي أو وزير ثقافة هو توصيل ثقافة أو إعلام مهذب وتعليم الناس.

بلد بتاعت شهادات

طلبت عادل إمام عندما كنت فى المسرح أشاهد مسرحية «السكرتير الفنى » فجاءنى بعد أن أدى دوره ، فسألته عن إسمه ومؤهله فقال عادل إمام ومعي مؤهل بكالوريوس زراعة، فقلت له أريد منك أثناء قولك في المشهد أنا بعمل كل حاجة وغيره تقول «بلد بتاعت شهادات» وأخذ عادل إمام يرددها عندما يتكرر المشهد، وفي أحد الأيام الساعة 1 مساءًا رن جرس التليفون وكانت المسرحية معروضة في التلفزيون في هذا اليوم فرفعت السماعة فوجدت من يقولي لي «أنا جمال يا دكتور حاتم ... وقال لي أنا عندي رسالة أريد أن أقولها لك..» الأسرة كلها جنبي وقالوا لي اتصل بالدكتور حاتم وقل له يا دكتور حاتم خليتنا نضحك طول الوقت... وأكيد كل أسرة في مصر عمالة تضحك ومبسوطة وبتتلم طول الوقت بدلا من جلوس رب الأسرة على المقاهي وغيره، وقال لي أنا سمعته بيقول «بلد بتاعت شهادات» إيه الحكاية دي «فأنا فوجئت لأن الناس دايمًا لما بتضحك قوي في مصر يقولوا «اللهم إجعله خير» فأردت إيصال رسالة معينة إلى الرئيس ففكرت أثناء حديثي معه وقلت «ماوس تونج قال »الثقافة دي نوع معين لكل بلد والرجل المثقف أكثر معرفة من الرجل الذي معه شهادة لأن الذي لا يحمل الشهادة تكون لديه عقدة نفسية تجعله دائم الاطلاع حتى يكون كثير المعرفة وعلى علم بالثقافات المختلفة« وسيادتك في مصر تنادي بفتح مدارس كثيرة لكننا في أجهزة الإعلام والثقافة يجب أن نزيد من جرعات الإعلام والثقافة لأننا لن نستطيع عمل مدارس كثيرة فأردت أن نوجد الرجل المثقف الذى قد يكون فى أحيان كثيرة أفضل في الحياة من بعض حاملي الشهادات ، ومشاهدة البرامج وغيرها تزيد من تلك الفئة فأنا قلت هذا المبدأ كشعار من طبيعة النظام الذي نعمل فيه ... فقال إلى الرئيس هذا جيد».

في هذا الوقت كان الشيوعيين ضدي فلم يعجبهم هـذا النظـام فأخـذوا يتحـدثون عـن الكـم والكيف، ويقولون نحن نريد الكيف ولا نريد الكم.

لذا من الواجب علينا في كل عصر أن ننظر إلى طبيعة البلد ماذا تحتاج ... فطبيعة البلـد يجـب ألا نعزل المثقفين في أجهزة معينة.

الإعلام أكبر خادم للثقافة

لقد ساهم الإعلام في خدمة العديد من القضايا الثقافية والأمنية والإستراتيجية، ففي أوقـات كثيرة تكون الحكومة جيدة جدًا ولكن إعلامها لا يستطيع توصيل إنجازاتها وأعمالها إلى النـاس فتصاب بخيبة أمل، وهذا أيضًا في الثقافة فقد تكون مصر متقدمـة في الثقافـة والمسـائل الثقافيـة المختلفة ولكن لابد أن يلازم هذا إعلام ففي العالم العربى الأغنيـة المصـرية والنكتـة المصـرية تنتشر بصورة كبيرة جدا، فمثلا عندما كان يخطب عبد الناصر نسـمع مـاذا يقـول العـالم العربـي فالفكرة ليست عملية فصل بين الثقافة والإعلام بل الثقافة تستفيد من الإعـلام، فـإذا كـان لـدى الثقافة من الأجهزة ما تؤدي به هذا الدور الهام العالمي فتكتفـي بنفسـها وهـذا بحسـب الرجـل الذي يقودها فإذا كان متقوقع ويقوم بعمل أشياء ثقافية مهمة جدًا ولكن لا تنتشر بين المـواطنين أو بين الثقافة المصرية العالمية فيكون مردودها خيبه الأمل.

المبحث الثالث
المشروعات الثقافية

عندما توليت الإعلام فى عهد الرئيس عبد الناصر وجدت أن التليفزيون بدأ ينتشر فى العالم وكان هناك 7 محطات تليفزيونية فقط على مستوى العالم فاستشرت الرئيس وبدأت فى إنشاء التليفزيون «المبنى الحالى »وتم افتتاحه سنة 1960وكان هو بحق أبو الفنون وأصبح ومازال خادما للثقافة فى شتى الدروب ، وبعد افتتاح التليفزيون اتصل بى الدكتور طه حسين وقال «انتقل الكتاب والمسرح إلى لبنان فماذا أنت فاعل؟ «فقلت له انتظر 6 أشهر»وقلت لكى يعمل التليفزيون ويحقق الهدف الذى أنشئ من أجله يجب أن تكون هناك أفلام ومسرح ،وأيضًا ضرورة وجود كتب من أجل أن يكون ذخيرة للمؤلفين بصفة دائمة، وكان وقتها لا يوجد سوى المسرح القومى الذى يعرض مسرحية أو اثنين في العام وخلاص والكتاب لا توجد كتب وعند خروج كتاب يعملوا له حفلة، فاستأذنت الرئيس جمال عبد الناصر وقلت له من أجل أن يتحرك التلفزيون سوف أقوم بعمل مسارح التليفزيون وأيضًا كتب من أجل أن يقرأ الكتاب من الأدب العالمي، والأفلام سوف أقوم بإنتاج 100 فيلم في السنة وقلت له أن الرأي العام الآن مقسم إلى طبقة ثقافية عالية جدًا لا يرضيها إلا أعمال شكسبير ومونيتير وأيضًا الكتاب باللغات الأجنبية فقط والأفلام قليلة وأنا درست الرأي العام وهو مكون من طبقات مختلفة ولابد أن نعمل من أجل جميع الطبقات الموجودة وهذه هي دراستي فوافق الرئيس وبدأنا العمل ...

***

الأوبرا واليابان

بعد حرب أكتوبر أراد السادات فتح قناة السويس فرفضت البلاد العربية وكل المبلغ الذي قدموه هو 10 مليون دولار كقرض بسعر فائدة 16٪ بينما يحتاج افتتاح القناة بعد الحرب والسفن المحترقة بها إلى 140 مليون دولار وكان لي علاقة طيبة مع اليابان وخصوصًا أن إحدى الفتيات من اليابان جاء بها رئيس وزراء اليابان وقال لي أنا أريدها أن تتربى في منزلك وتتعلم العربي فكانت العلاقة ودية وعندما قال لي السادات على قناة السويس بعد أن خضنا الحرب وارتفع سعر البترول من دولار واحد إلى 35 دولار واستفادوا هم من تلك الحرب ، فذهبت إلى اليابان لكي أعرض عليهم المشاركة في افتتاح قناة السويس و اتبعت أسلوب المثل الفرنسي الذي يقول «إن العرض هو القرار» وأن ترى ما هي مصلحة من هو أمامك فرأيت أن مصلحة من هو أمامي «اليابان» أن هناك قناة بنما بها إصلاحات وهناك مزايدة لتوسيعها ووضعوا شرط قرأته وأنا في الطائرة إلى اليابان بالصدفة بأن الشركة التي تتقدم يجب أن يكون لها خبرة في أحد المناطق العالمية التي بها قنوات، فاتصلت بالشركة التي ستقوم بتطهير وتوسيع قناة السويس وسألتهم هل تقدمتم بعرض لتطوير قناة بنما فقالوا نعم، وقلت لهم هل لديكم خبرة فقالوا لا؟ فقلت لهم أنا سأعطيكم الخبرة سأكتب لكم خطاب بأنكم ستعملون في قناة السويس، واكتبوا في تلك الشهادة المعاني التي تريدون تقديمها في العرض «وكانت شركة يابانية» وتحدثت مع مستر «ناكسوني» وقلت له نريد فتح قناة السويس وهذا شيء عالمي .

و إذا كان الاتحاد السوفيتي وضع أسس لعلاقته معنا إلى الأبد وهي السد العـالي، والولايـات ساهمت في موضوع حضاري هام هو معبد أبو سمبل، فأنا سأتيح لكم كصديق شيئين «فـتح قنـاة السويس وسوف تعطيكم عطاء كبيرا» بس إحنا ليس لدينا ما يكفي من المال إذا لم يكـن لـديكم مانع، وهذا شيء عالمي وسيقال اليابان فتحت قنـاة السـويس،وبعد أن عرضـت عـلى اليابـانيين افتتاح قناة السويس عقب حرب أكتوبر وافقوا وكان المبلغ الذي سيتكلفه فتح القناة 140 مليون جنيه فقالوا لي نحن سنتكفل بها فقال رئيس الوزراء نحـن سـنتكفل بالصـرف 3 سـنوات ونقـوم بافتتاح القناة و نأخذ الإيراد ثلاث سنوات وبعد سبع سنوات تقومون بـدفع القـرض فقلـت لـه أريد أن يكون القرض على 20 سنة ثم قلت له نحن نريد 400 مليون...

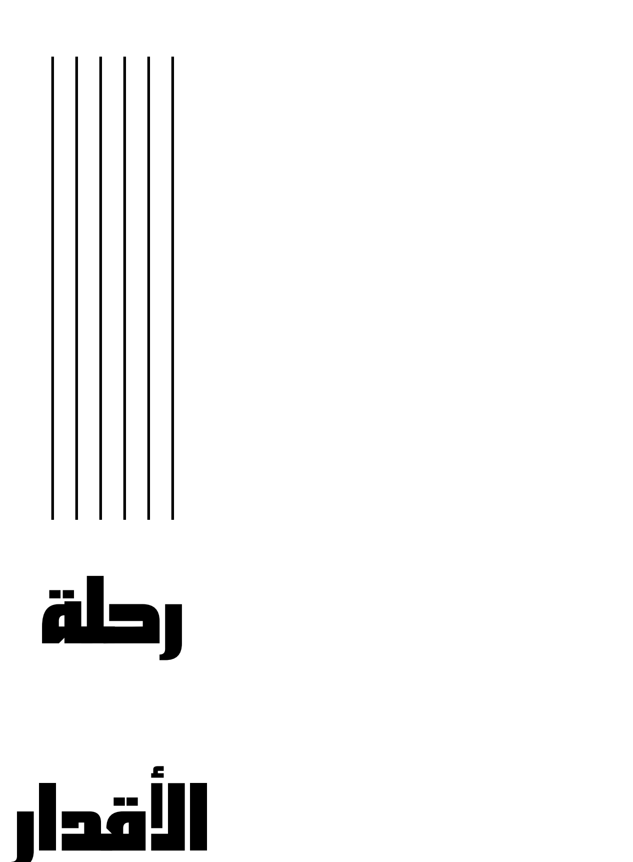
وقال رئيس الوزراء وهو صديق حميم لي لأحد الأصدقاء أن الدكتور حاتم أخطأ لأنه لو طلب مليار لأعطيته المليار، وبعد زيارتي لليابان قلت لـه أريـد رؤيـة بعـض المصـانع فـذهبوا بـي إلى مصانع الحديد فوجدت تلك المصانع كأنها زجاج وبدون دخان غير ما هو موجود لـدينا ويفـرز الدخان فسألته ما هذا فقال لي هذا هو التكنولوجي فقلت له أريد شيء بهذا الشكل فقال لي نحـن لا نعمل استثمارات بالخارج لكن نعطيك التكنولوجي وهذا هو مساهمتنا معك فعدت إلى مصـر و عملت وقتها حديد الدخيلة الذي تم بيعه.

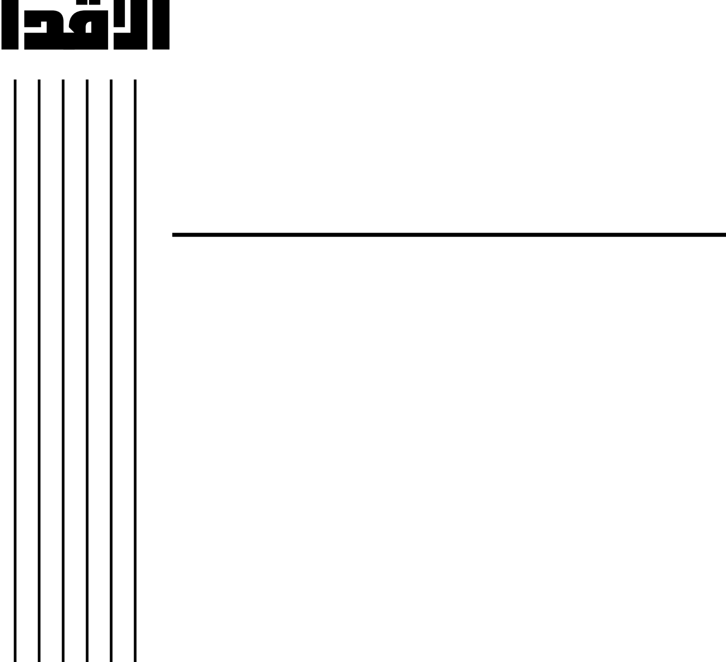
ثانيًا من ناحية الشعب وبصفتي وزير في حكومة مصر فأحسن مكان في مصر هو قلب القـاهرة سنعمل فيها «أوبرا» فقال الرجل الياباني بس إحنا معندناش أوبرا فقلـت لـه عنـدكم إيـه؟ فقـال مركز ثقافي فقلت نسميه مركز ثقافي، فسألني كم المبلغ؟ فقلت له أنا لا أستطيع تحديـده فالـذي تحدده عظمة اليابان.

المجالس القومية المتخصصة

بعد تحقيق المفاجأة الإستراتيجية في حرب أكتوبر واعتـراف إسـرائيل بهزيمتهـا أمـام العـالم طلبت من السادات أن أترك الوزارة فقال لي السـادات لـن أتركـك سـتبقى معـي طـوال الوقـت «مساعد رئيس جمهورية»، وخذ طائرتي وهات العلماء الـذين كـانوا معـك وتعملـوا المجـالس القومية المتخصصة.. وعندما نشر الخبر انزعج اليابـانيين وظنـوا أن هـذا نـوع مـن الإقصـاء أو الطرد وقال لي أحد الأصدقاء اليابانيين لماذا فعل بك السادات هذا فشرحت له الموقـف فقلـت له بالعكس أن المجالس ليس بها مسـؤولية كـالوزارة بـل سـتتيح لي تفعيـل الأفكـار الموجـودة برأسي لخدمة مصر أكثر فقال لي تلك المجالس بها محاضرات وغير ذلـك فقلـت نعـم فقـال لي سـوف نبنـي لـك تلـك المجـالس في الهـرم فقلـت لـه لمـاذا في الهـرم نعملهـا هنـا وتبقى الأوبرا وبالفعل أحضرت الرسومات على أن مكان الأوبرا هـو مكـان المجـالس القوميـة المتخصصة ولكن تغيرت الأمور بعد البناء وأصبح المكان هو دار الأوبرا الحالى.

الفصل الثامن
السادات وهيكل والأهرام





كان هيكل ذكى جدا وكان متابع جيد لما يحدث من تطورات في مصر، وبعـد انـدلاع الثـورة تقرب من عبد الناصر وكان دائم التواجد والمشاركة بالرأي وآخر يعطى بعـض الآراء ،وتطـور الأمر وأصبح يكتب الخطب والأحاديث وتقرب كثيرا مـن دوائـر صـنع القـرار داخـل مجلـس الثورة ومنحه عبد الناصر وزارة الإرشاد القـومي حيـث لم تكـن هنـاك في ذلـك التوقيـت وزارة للإعلام ، وبعد رحيل عبد الناصر ومجيء السادات وكان هيكل رئيسـا لمجلـس إدارة الأهـرام وكان السادات يعرفه جيدا وحدثت خلافات بينهمـا وأراد السـادات إقصـائه ،فطلبنـي الـرئيس السادات وقال لي ستتولى مجلس إدارة الأهرام بدلا من هيكـل ونظـرا لان الـرئيس يعلـم علاقـة هيكل بالصحفيين بالمؤسسة نظرا لأنه كان دائم الحديث عن عبد الناصـر وعصـره ومـا في هـذا الحديث من تجاوزات كان يعلم بها السادات ولذلك أبلغ الرئيس وزير الداخلية قبل أن يبلغنـي بالقرار بأن يجهز قوة للذهاب معي للأهرام لإبـلاغ هيكـل بـالقرار وأن أسـتلم مكانـه في نفـس التوقيت،وعندما علمت بذلك قلت للسادات أن معظم صحفيي الأهرام هـم أبنـائي وتلاميـذي ورفضت أن آخذ قوة معي ، وكان السادات قد أبلغني قرار إقالة هيكل السـاعة الواحـدة صـباحا وطلب منى أن يذاع في نفس اليوم الساعة 3 عصرا ولكنى لم أقم بإذاعة قرار الـرئيس في التوقيـت الذي حدده وفى هذا الوقت فتح السادات الراديو فلم يجد الخبر،فطلبني وقال لي أيـن الخبـر يـا دكتور حاتم «أنا كلمتك الساعة 1 بالليل أنت كنت شارب حاجة ولماذا لم تنشـر» فقلـت لـه يـا سيادة الرئيس هيكل كان داعي «تترام» وفي التوقيت الذي طلبت سـيادتك أن يـذاع القـرار كـان يودع الضيف في المطار فإذاعة الخبر في هذا التوقيت غير مواتي

وأنا لي رأي وأسلوب في التعامل مع الناس ووافق السادات، وطلبني السادات 11 مساء نفس اليوم وطلب مني نزول قرار إقالة هيكل في أهرا م الغد ، كل هذا ولم يعلم هيكل وبعد أن وضعت القرار الجمهوري على صفحة الأهرام علم هيكل بالأمر وكان في بيته فاتصل بى وطلب مني أن تقوم «فوزية» سكرتيرته بإحضار الكتب ومتعلقاته من المكتب بالأهرام إلى بيته وقال «أرجو أن تسمح لها» فقلت له «لا» مش هتاخذ حاجة فقال «ليه» فقلت له «إنني سمعت إنك مالي مكتبك سيجار هافانا وأنا نفسي في واحدة» على سبيل المداعبة وطلبت منه أن لا يتكلم في هذا الأمر ، وأن يذهب إلى مكتبه غدا صباحا ويأخذ ما يريد ، وذهبت أنا الساعة الواحدة بعد ما غادر هيكل الأهرام ووجدت تجمع من الصحفيين وطلبوا الحديث معي، فقلت لهم «أيها الأخوة الأعزاء شاء القدر أن أكون ضيفًا عليكم ، وأرجو من الله أن أكون ضيفًا خفيفًا فأنا أعرفكم وتعرفوني ولم تتغير أخلاقي ، وهنا أقول من يضع لبنة في أرض مصر يجب أن يشكر عليها ، وتم التصفيق وأكملت قائلاً أن كل ما يهمني أن تتقدم هذه الجريدة وأن نحافظ عليها ، وأنا أرى أن هنا عدد كبير من الصحفيين، ولم أكن أعلم أن الأهرام بها هذا العدد من الصحفيين» وطلبت منهم أن لا يقتصر عملهم على الأخبار فقط ، بل كتابة تعليقات على الأخبار حتى تنجح الجريدة ، وهنا قام أحد الصحفيين «زكريا مينا» وقال لي يا دكتور حاتم نريد أن نسألك سؤال وتجيبنا بصراحة فقلت له اسأل «فقال ليه هيكل مشى من الأهرام؟»

فقلت له « كنت فاكر أنك ستأتي بقنبلة فأنا أعرفك من أيام عبد الناصر ولك سمعة طيبة والصحفي الشاطر يعلم إجابة السؤال قبل أن يسأله وأنت تعلم لماذا مشي هيكل؟» فرد عليه زملائه ما هذا الكلام الذي تسأله يا زكريا وعدت إلى منزلي .. وتم تحريف كلامي ونقله للرئيس السادات واحتوى على أشياء وأكاذيب .

– بعد أن توليت مجلس إدارة الأهرام زارني على أمين في منزلي وكان وقتها مصطفى في السجن وقال لي جئت لأسلم عليك قبل سفري فقلت له إلى أين فقال مسافر فسألته لماذا،؟فأخبرني بأن هيكل أبلغه بأنه سيقبض عليه ويودع السجن خلال ساعات وطلب منه سرعة مغادرة مصر وطلب منه أن ينتهز الفرصة ويسافر على أول طائرة، فقلت له« لم أسمع هذا الكلام» وطلبت من علي أمين أن يجلس وتناولنا الطعام سويًا، وأثناء جلوسنا رن التليفون وكان الرئيس السادات وقال لي يا دكتور حاتم أنت قلت لهم اليوم في الأهرام أنك ستزيد مرتباتهم فقلت له يا سيادة الرئيس أنا لن أسكت فالذي قال لك هذا الكلام إما أن تثق فيه أوتثق أبى ، وذكرت له ما قلته في أول لقاء مع صحفيي الأهرام وأنا لا يمكن أن أكذب أبدًأ،وبعد أن أنهى الرئيس كلامه أخبرته بأن على أمين بجواري وقد قالوا له كذا وكذا وحكيت له ما قاله على أمين وأبلغته بأن على أمين قال لي «أريد أن أعمل سكرتيرك»

فقال لي السادات خذه معك فقلت له يا ريس أنا قلت لعلي أمين هذا لا يصح فأنتم الذين عملتم الصحافة في مصر فأنت تأتي مدير أو رئيس مجلس إدارة، فقال لي السادات أبلغه ألا يسافر ويذهب غدًا إلى الأهرام وتم تعيينه رئيس تحرير الجريدة.

وكان على أمين صريح جدا وفى احد اجتماعاته مع الصحفيين في الأهرام قال لهم «إن الأهرام مثل واحدة ست جميلة جدًا ولابسة حجات كثيرة بس الفستان من وراء متشال كله فإحنا مهمتنا نغطي هذا الجزء» وكرر هذا الكلام في أحد الحوارات بالتليفزيون وعلم الجميع بتلك العبارة فدخلت على علي أمين وقلت له «هل تريد مما قلت إهانة للصحفيين فقال «لا » أنا أقصد عملية نقد من أجل أن يتقدموا«فطلبت منه أن يذهب إلى التلفزيون الساعة 6 مساء ويشرح وجهة نظره فيما قاله ويوضح الأمر.

وكان هيكل قد قال في الصحف بعدما ترك الأهرام أنه قبل مغادرته دعاني إلى الأهرام من أجل أن يعرفني بالناس وهذا هو هيكل؟

الفصل التاسع
مواقف لا تُنسى

رحلة

الأقدار

أول انتخابات برلمانية بعد الثورة

في عام 1957 دخل مجدي حسانين أول انتخابات برلمانية بعد الثورة في دائرة الزمالك وكـان هـو المسئول عن مديرية التحرير ولاقى هجومًا من الصحفيين بشكل كبير فكتب «يـا فطـة كبيـرة» دعائيـة وكتب عليها مرشحكم مجدي حسانين الذي أنشأ مديرية التحريـر... وكـان المرشـح المنـافس لـه موسى صبري فكتب موسى صبري يافطة بجوارها كتب عليها «موسى صـبري الـذي لم ينشـأ مدريـة التحرير.

السياسة هي الحيدة التامة

كنت أعمل بتنظيم الضباط الأحرار وأعرف عنهم الكثير ولكننـي لم أكـن داخـل التنظـيم لأن ظروفي العائلية لا تسمح بذلك علاوة على تكويني الشخص فأنا لا أريد الـدخول في تكـتلات أو أحزاب ولا أريد أن يكون لي عداوة مع أحد. فمثلاً أيـام السـادات كـان هنـاك مـا أطلـق علـيهم السادات مراكز القوى وكلهم أصدقاء وتكتل آخر كان بتاع المشير عامر وصلاح نصـر وهـؤلاء وغيرهم في شجار دائم.

أنا وملكة بريطانيا وتاتشر

أكثر من موقف جمع بيني وبين ملكة بريطانيا أنا وزوجتي علنًا وفى أحد المرات قابلتها فقالـت لي «أنا سمعتك وأنت تتحدث الـBBC أيام العدوان الثلاثي على مصر وقـد أعجبنـي ردك كثيـرا عندما سألك المذيع وقال لك ... الديكتاتور ناصر يقول كذا وكذا فقلت له لا تقل ديكتاتور لأنه رئيسي.

وفى إحدى المرات عندما كنت في بريطانيا لإصلاح سماعة الأذن الخاصة بـي في أحـد المحـلات الشهيرة ببريطانيا وكانت زوجتي برفقتي فعرض علي صاحب المحل سماعة وقال إنها أفضل من التي أريد إصلاحها لأن بها «مفتاح للفتح وآخر للغلق» وأشار إلى أحد المفاتيح وقال لى هذا المفتاح يمكنـه أن يقفل عندما تضع أصبعك عليه فقلت له« أنا عايز بدل من أن أضع يدي على الزر ويقفل مفيش زرار يقفل أوتوماتيكي فسألنى لماذا؟ فقلت له مازحًا.. »لما المدام تطلب فلوس .. يقفل« فضحك الرجـل وطلب أن أنتظر ورفع سماعة التليفون وأخذ يتحدث ويقص ما دار بيننا ولم أكن أعلم أنه يتحدث مـع مس تاتشر وان هذا الرجل هو زوجها فهي تعرفني جيداً و قد جمع بيننا أكثر من لقـاء عمـل تحـدثنا في موضوعات متعددة فطلبت أن أحادثها فقالت لي» أنت عدو المرأة بهذا الكلام الذي تقوله » وضحكت .

وقد كانت تلك السيدة شديدة الحب لبريطانيا وفى أحد المرات التى جمعتنا كنت أتحدث معها عن العملة الأوربية الموحدة والتى لم توافق هى عليها وترفضها فسـألتها عـن سـبب الـرفض فقالـت« أنـا متمسكة برد تشرشل على «ديجول» عندما قال له «نريدكم أن تكونوا منا فكان رد تشرشل عليـه «نحـن معك ولكننا لسنا منك»».

السادات و توت عنخ آمون

عندما كنت وزيرًا للثقافة والإعلام فكرت فى ذهبت إلى المجلس وكـان وقتـه تسـويق الآثـار المصرية بالخارج وكانت أولى المحطات إنجلترا والقانون يقول أنه لكى تخـرج أى قطعـة آثـار للعرض في الخارج يجب موافقة البرلمان أو رئيس الجمهورية وكنت أريـد تسـفير «تـوت عـنخ آمون وكان رئيس الوزراء وقتها الدكتور محمود فوزى والذى وافق على السـفر وطلـب عـرض الأمر على البرلمان فعرضت الأمر على المجلس وقلت لهم سوف نأخذ توت عنخ آمون ونذهب به إلى معرض الآثار المصرية ببريطانيا وقبل أن أنتهي من حديثي إلا وقام مجموعة مـن الاتحـاد الاشتراكي وغيرهم من السياسيين بالمجلس وقالوا «كيف نذهب إلى إنجلترا بآثارنا وهـي البلـد التي باعت لإسرائيل غواصتين ،نذهب إلى هناك ونعرض آثارنا» ورفضوا الموضوع ،فذهبت إلى السادات وعرضت عليه الأمر وقلت لـه إننـا نريـد أن نـذهب إلى إنجلتـرا لعمـل دعايـة لمصـر وتسويق سياحي والبرلمان رفض فقال لي «سيبك منهم وقام بعمل قرار بسفر توت عـنخ آمـون» وعرف السفير الإنجليزي الأمر وأنه لولا أنا ما سافر توت عنخ آمون إلى بريطانيا فبعث لهم حول هذا الموضوع، فقابلني وزير خارجية بريطانيا هناك وقال لي «نحن نشكرك» وقال لي بعدها نريـد أن نتحدث في السياسة وسألني عن رأيي في موضوع فلسطين فقلت لـه «هنـاك معارضـة شـديدة جدًا لأنني أتيت بالآثار المصرية إلى هنا» فقال أنا أعلم ذلك

وفي مصر يعتبروا أن قرار السادات الذي صدر بشأن هذا الموضـوع لـيس في مصـلحة مصـر وبيقولوا «أردت أن أقول له ما يريد قوله» وقلت له إنهم يتحدثون عن الغواصـتين الإسـرائيليتين اللي اشترتهم إسرائيل منكم وأنا قلت لهم أنهم للدفاع فقالوا لي في البرلمان المصري لـيس هنـاك غواصات للدفاع وأخرى للهجوم بل للهجوم علينا وقلت لهم أن الحكومة البريطانية لـيس لهـا دخل في البيع وأن الشراء تم من شركة خاصة فأجابني أعضاء البرلمان المصـري بـأن «ديجـول» منع الشركة الفرنسية من أن تبعث أسلحة إلى إسرائيل وأن الإنجليز لم يفعلـوا هـذا بـل أعطـوهم الأسلحة لكي يقتلونا وهذا رأيهم وحكيت له الحوار الذي كان يريد أن يتحدث فيه فقال لي أريد أن أتحدث معك في موضوع القذافي والسادات فقلت له بكل سرور فقال لي إن وزير خـارجيتكم كان عندي وقلت له هذا الأمر، فقال إن هذا الموضوع غير مدرج على الأجنـدة وعنـدما علمـت ذلك وحتى لا أتدخل في غير عملي قلت له «إن الوقت قد داهمنا» واسـتأذنت منـه .. فـأنظر مـاذا قلت وماذا قال وزير الخارجية المصري وبالطبع بعد جلستي مـع وزيـر خارجيـة بريطانيـا كـان الصحفيين والإعلاميين فى انتظار ما سيصدر عن الاجتماع ، خصوصا وإننا كنا فى أوقات أزمات ،فقلت لوزير خارجية بريطانيا و ماذا ستقولون بعد تلك الجلسة بالنسبة لإسرائيل ومصر فقال لي «أكتب التصريح الذي تريد من بريطانيا أن تعمله بالنسـبة لإسـرائيل« إكتبـه وأنـا الـذي سـأقوله للإعلام» وبالفعل كتبت البيان الذى ألقاه وزير خارجيتهم وكان وقتها وزير الخارجية المصـري الدكتور الزيات ، وكانت هى المرة الأولى فى تاريخ الإمبراطوريـة الإنجليزيـة التـى يكتـب فيهـا شخص من خارج الوزارة بيان صحفى وهو طرف فى المشكلة،

وبعد عودتي كان الرئيس السادات في مؤتمر مع أعضاء الاتحاد الاشتراكي وقبل كل شيء قال لهم أريد أن أقول لكم أن مصر أمكنها أن تأخذ قرار لم يحدث في تاريخ الإمبراطورية البريطانية بأن تحدثت لمصلحة مصر وفلسطين على لسان الخارجية الإنجليزية وهو أول قرار يحدث بهذا الشكل وهذا ما قاله أمس الدكتور حاتم «فالسياسة هي فن وعقلية سليمة».

السادات وجلال معوض

عندما جاء السادات رئيساَ للجمهورية قال الإعلامى جلال معوض فى التليفزيون«هذا الرجل البربري أصبح رئيسًا » وكان هو الذى يقدم جمال عبد الناصر فى معظم المناسبات ، فذهب به الأمن إلى مصطفى أبو زيد المدعى الاشتراكي فقال له أبو زيد أنت قلت «البربري» على السادات فقال «نعم» فبعد ما كنت أقدم عبد الناصر أقدم هذا «البربري» فقال له مصطفى أبو زيد أنا مقتنع بحبسك... وسمعت أنا بهذا الأمر فاتصلت بمصطفى أبو زيد وسألته عن الأمر فقال لي أنه أبلغ الرئيس السادات فطلبت منه أن أحادث جلال معوض فأعطانى إياه فقلت له «يا جلال فيه حد يروح في فم الأسد ويقول هذا الكلام وفي التلفزيون مثل هذا الكلام يقال خارج التلفزيون»، وبعدما أغلقت التليفون مع جلال معوض ،اتصلت بالرئيس السادات وقلت له إن الأمر غير مقبول أن أكون في مكان ويحدث هذا ومن الناحية الإعلامية غير مقبول فقال لي السادات «وماذا نفعل فهذا الرجل لا يصح أن يكون موجود بعدما قاله فى التليفزيون فقررنا نقله إلى المسرح لكى نتحاشى الحبس.

«الوفاء الياباني»

في أحد المرات أتى رئيس الوزراء إلى القاهرة وكنت وقتها وزيـرا وكانـت تربطنـى بـه علاقـة وطيدة وقال لي خذ البنت دى وعلمها مع أولادك وبالفعل تعلمت مـع أولادي وأثنـاء وجودهـا معنا كان عندي حفيد عنده الكلى و تعبان ففي مرات كثيرة تصلي المغرب وتدعو له وبعد عودتهـا إلى اليابان أصبحت وزيرة ومنذ فترة وجدت لها مقال بـالأهرام تحـت عنـوان «الوفـاء اليابـاني» وتقول فيه أن الدكتور حاتم هو والدي الذي رباني في بيته وعلمني سماحة الإسلام .

مراكز القوى والسادات

بعد وفاة الرئيس عبد الناصر وتولى السادات كانت هناك معارضة من بعض أعضـاء مجلـس قيـادة الثورة وأرادوا أن يحجموا دور السادات وكانت قيادة البلد فى أيديهم من جيش وشرطة وباقى الأجهزة السيادية وهم من اطلق عليم « مراكز القوى» وكانوا يقومون بمراقبة السادات وتسجيل محادثاتـه وقـد وصل الخبر إلى السادات فسجل لهم وفى أحد المرات طلبنى وقال لى أنه وجد تسجيلات عـلى مراكـز القوى تحتوي على اعترافات منهم بأنهم يريدون القبض عليه عندما يدخل التليفزيون وعندما قابلته قال لى أنا عينتك «نائب رئيس وزراء ووزير للإعلام فقلت له أنا أريد تربية أولادي بعيد عن الدوشـة فقـال أنت لازم تمسك الإعلام لأن هناك خيبة كبيرة حدثت نتيجة الإعلام بتـاعهم في 1967 فقلـت لـه أنـا معي دعوة من عدد من الجامعات الأوربية لإلقاء محاضرات هناك عـن العـدوان الثلاثـى ومتكفلـين بالمصاريف وعلاج المدام فقال لي السادات إذا كان هذا فقط فلا مانع بس المهم إنك ترجع على طول وسلم علي وقال «خلي بالك من نفسك» فقلت له بصراحة «خلي بالك من نفسك انت» وبعد عودتي من أوروبا قال لي أنت لازم تروح للإذاعة وإلا سأرسل لهم قوة يضربوهم بالنار فقلت له ياريس ميصحش فقال لا أنا رئيس جمهورية وهم كانوا يريدون القبض علي، ولا يوجـد غيـرك فخـذ قـوة مـن البـوليس والجيش وسوف يجهز لك هذه القوة ممدوح سالم وحتاتة وأنا محضرهم يروحوا معـاك. فقلـت لـه« قوة إيه هناك قوة أفضل وأحسن وأنا أؤمن بها أكثر «وهي قوة حب الناس»

فأنا عشت مع هؤلاء وأعرفهم وهناك علاقات إنسانية فقد بنينا التليفزيون مع بعضنا البعض وأعرف عائلاتهم ولم أؤذيهم وأتيت لهم بمساكن «مدينة الإعلاميين» وكنت أصرف لهم مكافئات وهناك علاقة إنسانية وأنا سأذهب لهم بمفردي وكان هناك وكيل لوزارة الإعلام وهو لطفي عبد القادر فتحدث لهم في الإذاعة وقال سيأتي لزيارتكم نائب رئيس الوزراء ووزير الإعلام الجديد وأخذت سيارة (2300) وذهبت إليهم وأثناء خروجي بعثوا معي سيارة أخرى للحماية فتوقفت في الطريق وقلت لهم لا أريد أن يذهب معي أحد وعندما وصلت وجدت الشارع أمام ماسبيروا مليء بالناس وعندما نزلت من السيارة حملوني على أكتافهم حتى الدور التاسع. فقلت لهم إن ما حدث نوع من الوفاء الموجود بيننا وأنا اليوم بينكم وغدًا لا أكون موجودا والوزير عمله سماع التعليمات وتنفيذ سياسة الدولة فهو مرآة الحكم وأنا علمتكم الولاء قبل الوفاء والولاء يجب أن يكون لرئيس الدولة الشرعي أنوار السادات. فلم يصفق أحد لأنهم كانوا ما يزالون مشغولين بالحقبة الناصرية وشعاراتها وكان بعضهم يتاجر بتلك الأشياء وبدأت أخطب فيهم عن الحب والولاء لمصر. وأثناء حديثي وجدت أحد اللواءات يتقدم لي قائلا هناك تليفون من الرئيس السادات فذهبت إليه وكانت المشكلة قد تم حلها فقال لي ضاحكًا «أنا رئيس الجمهورية يريدون القبض علي وأنت يحملوك على الأكتاف ويرددون يحيا حاتم» فقلت له مداعبًا «سيادة الرئيس هو أنا اللي طلبت آجي.. إنت اللي قلت لي تعالى، أنا كنت عايز أربي أولادي فأنا أحب الرسم والكتابة والجلوس مع أولادي» وقلت له يا سيادة الريس دلوقتي إيه الموقف أنت بتحبس وبتفرم وأنا مش «أدك» وقد قال لي واحد امبارح هو شعار أنور السادات المفرمة. فقال السادات هما بيقولوا علي كدا.وضحك السادات وانتهت القصة.

التأميم وحياتي الخاصة

كنت المتحدث الرسمي باسم الثورة وعندما قرر مجلس قيادة الثـورة تـأميم بعـض المشـروعات كنت وقتها المتحدث الرسمى باسم المجلس وتم اعتماد قائمة التأميم وأنـا الـذى سـوف أذيـع تلـك الأسماء وكانت المفاجأة عندما أمسكت بالقائمة وجدت أن اسم والد زوجتى ضـمن القائمـة وكـان لديه مطاحن للغلال في الإسكندرية وكان قد استورد معداتها بالعملة الصعبة من الخارج وعانى كثيـرا حتى كونها وأنا أعلم هذا وكان المطحن جديد ووالدها سعيد به جدا ولكن لم يكن هناك مفـر فالقائمـة قد تم اعتمادها ولا بد من إذاعتها فهذا امر عسكرى وبعد إذاعتها عدت إلى المنزل وجدت زوجتـى فى وجهى وقالت لي «هنعيش إزاي مع بعض انتوا افقرتوا أبويا هوه عنده حاجة تانية، وهنعـيش إزاي مـع بعض» وأنا من ناحيتي أفضل الحيـاة الأسـرية عـلى غيرهـا، فأحضـرت التليفـون وقمـت بالإتصـال بالرئيس عبد الناصر وقلت له عندي مشكلة أنت عارف أنا متزوج بنت مين وأخي متـزوج اختهـا وأنـا بفضل أعيش مع أولادي حتى لا أخسر عائلتي وقصصت له الأمر فدعانى وزوجتى للعشـاء عنـده فى البيت فأخبرتها فرفضت في البداية وبعدين وافقت وذهبنا إلى منزل الرئيس عبد الناصر وعنـدما دخلنـا سلم عليها وكان له نظرة وابتسامة جميلة تجذب من حوله وحمل كرسي مذهب بنفسه وأجلس زوجتـي وأخذ يشرح لها دواعي التأميم ويقول لها أن البلد بها فقر فمن أين يـأتي بـالأموال وأن هنـاك مشـاريع خدمية تحتاج الكثير من الأموال مثل مشروع الحفاء وأن الشعب لا يجد قوت يومـه فيجـب أن نأخـذ من الأغنياء لنسد حاجة الفقراء وبالإسكندرية هناك ثورة للجياع ضد الأغنيـاء وقـد تحـدث للأغنيـاء عمليات سرقة وقتل فمن لا يجد قوت يومه ماذا ننتظر منه.

– وقال لها إن الحال فى مصر ناس أغنية وناس مش لاقية حاجة تلبسها في أقدامها والإقطاعي يأخذ الأرض بمن عليها وليس لدينا ثروة لتعويض الغلابة فكيف نأخذ الفلوس لنعطيها للغلابة لم يكن أمامنا سوى التأميم فالإسلام يقول الزكاة وهم لا يدفعون الزكاة فنحن نريد تقريب الفوارق فالفقر هو سبب ونتيجة cause and elect وقد قال الإمام علي لو كان الفقر رجلا لقتلته، والفقر يأتي بالجريمة وهو سبب الجهل و90٪ من الشعب أمي ونصف في المائة من الشعب يمتلك كل الشعب، فأنا آخذ من الغني لإعطاء الفقير وهذا يجعل هناك روح معنوية لدى الشعب وأخذ عبد الناصر يشرح لها فكرة التأميم ونية الحكومة في إخراج الإنجليز من مصر وهذا كان قبل 1956 وقال لها كيف نخرج الإنجليز من مصر والشعب ليس معنا و أنت من الإسكندرية وأنا من الإسكندرية وتعلمين ما يحدث.،وبعد أن انتهى الرئيس من كلامه لها وتظاهرت زوجتي بالاقتناع وعندما خرجنا قام الرئيس يودعنا إلى الباب وانتظر حتى ركبنا السيارة، فكان ناصر مؤدب جدًا ومجامل.

و في أحد المرات أيام الخلاف مع الرئيس نجيب قال لي «إن نجيب ضدي والناس» فقلت له هو يبتسم دومًا ويلبس مدني ويحمل الأطفال في الأفراح وبدأ عبد الناصر يغير طباعه العسكرية وبدأت أرسم له الشكل الإعلامي وكنت أقول له «ليس من الضروري أن يكون رئيس الدولة عادلا بل من الضروري أن يوصف بأنه عادل».

- ولم تكن قرارات التأميم هى الوحيدة المطروحة فى تلك المرحلة بل كانت هناك أطروحات مثل الرأى الذى كان يتحدث عن فرض الضرائب التصاعدية وقد ألفت كتابًا في هـذا الموضـوع قبل الثورة وقد قلـت هـذا في المجـالس القوميـة المتخصصـة عنـدما توليـت أمرهـا، وليسـت الضرائب التصاعدية والتي وضعتها وزارة المالية وهي 20٪ من الدخل.

جامعة القاهرة

عندما كنت وزيرًا لثلاث وزارات للإعلام والثقافة والسياحة خاطبت اليونسكو بـأن هنـاك ثـلاث كليات تحتاج إلى مبلغ ليصبحوا صروحًا علمية وثقافية فأنشئت كلية الاقتصاد والعلوم السياسية والتي كانت تابعة لكلية التجارة وأنشئت كلية الإعلام وفي مجال السياحة ألغيت المرشدين الجاهلين الـذين لا يعلمون شيئًا عن التاريخ «أبو عباية وشمسية» فقد كان أحدهم عندما يسأل كيف بنيتم الهـرم يقولـو أن هناك عفاريت أتو من السماء وبنو الأهرام وأنشأت كلية السياحة والفنادق.

الشرقاوي وعبد الناصر

لا يخلو أى عصر من فئة الحاقدين الذين يروعهم أى عمل ناجح، فقد وشى أحد الأشخاص بعبدالرحمن الشرقاوى أيام عبد الناصر وصدر أمر بـالقبض عليـه واعتقلـوه بالفعـل ، وسـمعت بذلك فقلت للرئيس أن الشرقاوي يقول أنه يساري لكنـه مؤلـف كتـاب «محمـد» وغيرهـا مـن الكتب الإسلامية فقال لي قل لوزير الداخلية «يخرجه حالا».

وزير وثلاثة عصور

أعطانى الرؤساء الثلاثة فرصة لكي أخدم مصر رغم الكثير من الأحقاد والمؤامرات التـى أحيكـت حولى فكلما خطوت خطوة يقومون بعمل إشاعة ضدي فقد قالوا عنى كلام كثير لعبـد الناصـر وكـان يقول لهم أنا أعرف هذا الرجل جيدا أكثر منكم وبعد وفاة عبد الناصر وتولى السـادات وطلبنـى لتـولى الإعلام أراد هؤلاء الوقيعة بيننا فلم يجدوا شيئا سوى الطعن فى أعـز مـا يملـك الإنسـان وهـو الذمـة المالية وقالوا للسادات أن عندى دور نشر فى لبنان وأننى أتربح من منصبى وأثناء هذا الحوار إذ بى أجد ضابط من المخابرات يعرفنى بنفسه ويقول يا دكتور حاتم أنت عملت لي خدمة في لندن عنـدما كنـت بصحبة زوجتى لشراء بعض الأشياء من أحد المحلات وقد كانت زوجتى فأخذت بعض الأشياء مـن المحل ووضعته في حقيبتها ورصدتها كاميرات المراقبة وألقوا القبض عليها وبالصدفة أنا كنـت هنـاك وجاءني واحد وقص ما حدث مع الضابط فتدخلت عن طريق بعـض الأصـدقاء في لنـدن لـدى قسـم الشرطة وقلت لهم أن هذه مريضة ويجب الإفراج عنها

وتدخل مستشار إنجليزى بالداخلية كان يسكن أمامي فأبلغته وقلت له أنها مريضة ويجب الإفـراج عنها وأنت عشت في مصر وتعلم أن السرقة ضد الدين وهذا غير طبيعي وتم الإفـراج عنهـا ويبـدو أن هذا الضابط يحفظ الجميل وبعد سنوات وأثناء عملى مع السادات ، وجائني هذا الضـابط وقـال لي أن وزير الداخلية بعث تقرير ضدك وأنا كنت ماسك الحكومة فقلت له وماذا يقول التقرير قال كلام فـارغ وأصريت أن يقول لى ما في التقرير فقال «يقول التقرير قال كلام فارغ وأصريت أن يقـول مـا في التقريـر فقال« يقول أن الدكتور حاتم مشارك على مطبعة في لبنان تطبع كتبه» فقلت له أنا مشارك قال أنـا أعـرف أن هذا كذب، وأخذت الورقة وقلت له أبعتها للسادات فبعثها، واتصلت بالسادات وشرحت له الأمـر وقلت له أنا أطبع كتبى خارج مصر منعا للشبهات ففضلت الطباعة عند واحد لا أعرفه وقلت للـرئيس كيف يكون هذا الوزير مرؤوس ومن خلال وظيفته يقوم بتسـليط أحـد أتباعـه لعمـل تقريـر مغلـوط عنى،وقلت للرئيس السادات هل طلبت من سيادتك أن اون وزيرا فقال «لا» وإنما أنا بعثت لـك لتأتي لأنهم كانوا سيقبضوا علي فقلت له «أرجوك اعفيني من الوزارة» فأنا لا أستطيع أن أعيش مع ناس بهذا الشكل وأنت تعرفني منذ أن كنا ضباطا صغار وهذا الرجل الذي يأتي الآن ويقول كـذا وكذا فطلب السادات ورقة وقلم وكتب فيها «قبلت استقالة وزير الداخلية».

وزير الداخلية يهاجمنى في روز اليوسف

لم ينس وزير الداخلية الذى كتب تقريرا عنى وأقاله السادات ما حدث وقد كـان هـذا الـوزير شيوعيا ويعلم أننى ضد الشيوعيين أراد بعد الخروج أن يعمل حملة ضدي في مجلة روز اليوسف وكتب الكلام الذي كان قد أعده فى تقريره ضدى وكنت قد أعلمت الرئيس السـادات بتفاصـيله فأخذت ما نشر وذهبت للسادات وقلت له أنظر مع من نعمل،فلو جاءنى وأظهـر عيـوبى كنـت أسعد به..

«طه حسين»..والوزارة

إتصل بى طة حسين بعد خروجى من الحكومة فى أحد المرات وسألنى وأنا في البيت وقال لي «هل يأتي إليك ناس كتير الآن كما كان قبل أن تخرج فقلت له نعم ناس كثيـرة» وقلـت لـه أنـا عـارف أنـت بتسأل ليه «فقال عندما رجعت إلى الوزارة مرة أخرى أتى لى ناس كثير فوقفت أخطب فيهم« أتيتم حين أتت وأدبرتم حينما أدبرت».

علاج الطائفية

أتى لي في أحد المرات قسيس سكرتير الباب شنودة وقال لي أن ابنتي خطفها مسلم وأريد أن أكلم «أبونا» فقلت له وما دخل البابا في الموضوع وبنتك عمرها 22 سنة وليست قاصر وقانونيًا ليس لك حكم عليها وثانيًا أنت رجل قسيس ولم تستطيع أن تحكم ابنتك فلماذا تذهب إلى البابا شنودة اذهب واشتكي كمصري وأنا أفعل ذلك فهل يذهب المسلم الذي تخطف ابنته إلى شيخ الأزهر وكتبت هذا الكلام وقلت يجب أن يكون رئيس الوزراء متعدد الثقافات وليس لديه ثقافة واحدة لأنه يتعامل مع الرأي العام.

عطاء الله ليس له حدود

في أحد المرات أتى إلى منزلي أحد الأشخاص ويحمل معه حقيبة بها أكثر من مليون جنيه وقال لي أن هذه الحقيبة من أجل المجمع الخيري فقلت له أن المجمع لا يقبل تبرعات من أحد وإن كان هذا الأمر بيني وبين ربنا وما يأتي زيادة عن معاشاتي أعطيه للمجمع والله يهب الرزق لمن يشاء من عباده وأنا مؤمن بهذا الأمر جدًا...وموقف آخر ولكن فى اثناء عملى بأن وأنا في المكتب جاءني خطاب وبه شيك بـ5 آلاف جنيه استرليني من الناشر في لندن «دار ماكملان» نتيجة إعادة طباعة وبيع الكتب التي لديهم وهو جزء من الإيرادات فقلت لمدير المكتب ؟ ابعته إلى المجمع الخيري فقال لي أحد الوزراء وكان يجلس معي ويعرف حالتي الاقتصادية «أنت محتاج الفلوس» فقلت له أن المجمع يكفل أيتام ويحتاج لفلوس وبعد ربع ساعة بالضبط وجدت فاكس من أحد شركات الطباعة في اليونان يقول أن هناك عشرة آلاف دولار كحقي في إعادة طبع أحد الكتب التي لديهم فقلت للوزير الذي لم يكن قد غادر المكان «اقرأ الفاكس» فعطاء الله ليس له حدود وأنا دائمًا أقول بعد المعاش «لقد أعطتني مصر كل ما أتمناه بأنني أخدمها ».

المصريون يبيعون الشمس

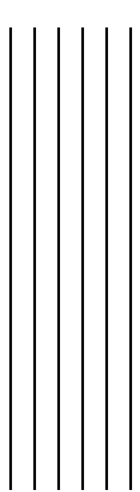
دخلت فى أحد أيام عام 1962 إلى مكتب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وكنت وقتها نائب رئيس وزراء للإعلام والثقافة ، ووجدته مهموما بالبحث عن موارد لتنمية اقتصاد مصر .. فقلت له يـا سـيادة الرئيس إن الحل فى السياحة .. فرد الرئيس أن السياحة مواردها هذا العام 15 مليـون فقـط... فأخبرتـه بأننى التقيت مؤخرا بالاقتصادى العالمى الألمانى «ايرهارد » والذى تربطنى به صداقة طويلة وتطرقت فى الحديث معه إلى كيفية تنمية الاقتصاد المصرى ، فرد علي قائلا « بيعوا وعندنا روماتيزم وروماتويد، فأحسن مشروع لكم أن تقيموا نهضة سياحية فسياح الآثار يزورون مصر مرة واحدة أما سياحة الـدفء والرياضة والإستشفاء فهى زيارات متكررة... ولم انتظر ورافقت ايرهارد إلى العـين السـخنة والغردقـة وكانت كلها أرضا بكرا وتناولنا أكلات السمك وشاهدنا معا مياه البحر الأحمر وما تحـوى تحتهـا مـن كنوز .

وعقب الزيارة عرض ايرهارد أن يجلـب لمصـر فنـادق شـيراتون والسـائحين الألمـان عـلى طائرات شارتر ، ولما أبديت دهشتى من الفكرة رد الرجـل بأنـه يعـرف أكبـر سـوبر ماركـت فى سيكون له الحق فى رحلة إلى مصر مقابل 70 ماركا فقط...وذهبت مع الرجل أيضـا إلى السـاحل الشمالى فذهل من مؤخرا ب 8 مليـار جنيـة ... ووضـعت عـلى الفـور تخطيطـا لنضـة سـياحية وقدمت الخطة للرئيس عبد الناصر ، وكانت تشمل إقامة 45 فندقا وشراء 100 سيارة ليمـوزين سياحية مكيفة و30سيارة vip لكبار الزوار ،

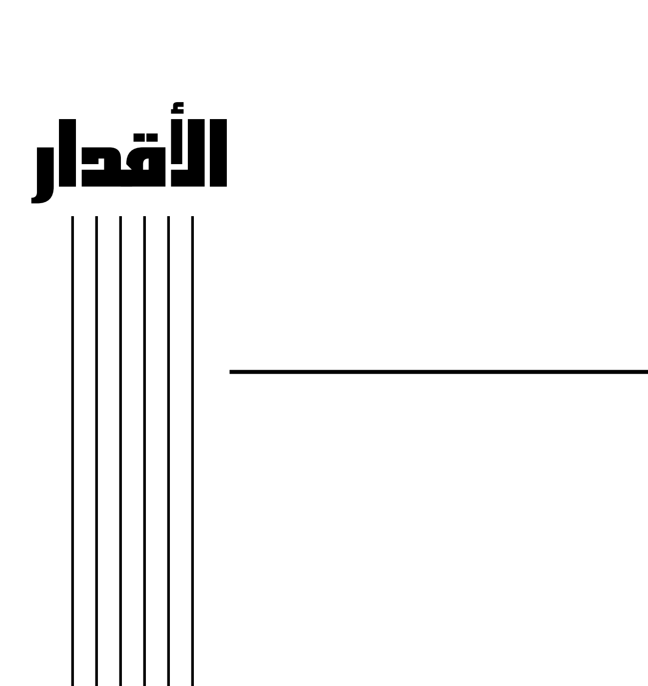
ومركبين للنيل هما أوزوريس وايزيس مستوردتين من ألمانيا ... كما خططت لاستبدال الترجمان صاحب الجلابية والعباءة الذى كان يقول للسائح ان الشياطين نزلت من السماء وقامت ببناء الأهرام والآثار، وقمت بعمل كلية الفنادق والسياحة ووافقت على سفر توت عنخ آمون للخارج ليشاهدها العالم كله، فقال لي الرئيس ومن أين ستأتي بالفلوس ؟ فقلت له أنا دارس العملية كويس، فقال لي أنا عارضتك ولكنك عملت أشياء كويسة وأنت أعطيتني آمال كبيرة وأمسك بورقة، فقلت له قبل أن تمسك بالورقة الراجل الألماني قال لي شيء «أنتم ضد أنفسكم» لأن عندكم في الجامعة العربية لجنة وقد أقرت أن أي شركة تنزل في إسرائيل تمنع من البلاد العربية فأنتم مانعين هيلتون وشيراتون وغيرهما، فقال لي تخالف والعرب ماذا سيقولون فقلت له يا سيادة الرئيس ،أريد أن أسأل سؤال شركات الطيران كلها بتنزل في إسرائيل فهل تمنع شركات الطيران من النزول في مصر؟ فقال إنت كنت جايب القرار بتاع اللجنة دي، قلت نعم وأن من لا يلتزم جنحة قلت نعم، فأخذ الورقة وقام بتمزيقها وقال توكل على الله وقال لي أنت وزير إعلام ووزير ثقافة ووزير سياحة،ووافق عبد الناصر على الخطة وأقمنا الفنادق حتى أننا كنا نفتتح كل أسبوعين فندق وبدأت النهضة السياحية تعرف طريقها إلى مصر ،وفى عام 2009 قابلنى ايرهارد السفير الألماني وقال لى لقد وقعت عام 1962 اتفاقية مع شركة ألمانية لجلب السائحين إلى مصر فهل تعلم أن مليون سائح ألماني زاروا مصر هذا العام .

* لم يمر هذا الأمر ببساطة على المتربصين بمصر من الشيوعيين وغيرهم ، وكانوا قد تغلغلـوا فى كل شىء وأنا أعلم ذلك وكنت أود مقاومتهم بشيء من الـذكاء دون أن يحـدث شـجار بيننـا وهم فهموا ذلك، فانتهزوا الفرصة وهاجموني في المقالات وإننى أريـد تضـييع المـوارد فى أشـياء عديمة الفائدة .

ملحق صور



رحلة







د. حاتم فى حوار باسم مع الرئيس عبد الناصر

النشرة العسكرية

العدد (29)

(القيادة العامة للقوات المسلحة)

تحريراً في 15 من جمادى الأولى سنة 1375 - الموافق 29 ديسمبر سنة 1955م

الجيش

ترقية خاصة:

صودق على ترقية الضابط المذكور اسمه بعد ترقية

خاصة إلى الرتبة الموضحة ابتداءً من التاريخ المبين قرين

[illegible]

إلى رتبة القائمقام

البكباشي (أ ح) محمد عبد القادر مصطفى حاتم

من إدارة المخابرات العامة

من 1955/12/20

كذلك تم تعيين القائمقام (أ ح) محمد عبد القادر مصطفى حاتم

مديراً عاماً لمصلحة الاستعلامات

من 1955/12/21

الله . الوطن

لواء (أ ح)

محمد عبد الحكيم علي عامر

قائد عام القوات المسلحة



استدعى الرئيس السادات الدكتور حاتم وأخبره ماسمعه من تسجيلات قرر مراكز القوى القبض عليه عند دخوله مبنى الإذاعة والتليفزيون ومنعوا تنفيذ أوامره عينه نائب رئيس وزراء ووزيراً للإعلام وذهب د.حاتم للمبنى بمفرده وبعد ٤٨ساعة فقد دعاه الدكتور حاتم للحضور للمبنى وإلقاء البيان

د.حاتم يصافح الرئيس السادات لحظة وصوله لمبنى التليفزيون فقد دعاه الدكتور حاتم للحضور للمبنى وإلقاء البيان بعد أن هدأ الجميع بوصول د. حاتم طلب من الرئيس السادات الحضور.

بعد اربع سنوات عاد للتليفزيون وهنا د.حاتم محمولا على الأعناق لدى وصوله إلى مبنى التليفزيون الذى أنشأه عام ١٩٦٠



د. حاتم حصل على ٣٠ قلادة ووسام من كبرى دول العالم وحصل على قلادة الجمهورية من الرئيس عبدالناصر بعد أن عمل معه مدير مكتبة ومستشاره وعينه عبدالناصر نائب رئيس وزراء ولأول مرة فى التاريخ السياسى يعين نائب رئيس وزراء لثلاثة وزراء الإعلام والسياحة وقد أنشأهما د. حاتم . ومعهما الثقافة وقد حصل على قلادة الجمهورية لوزارة الإعلام التى تولاها فى حرب أكتوبر

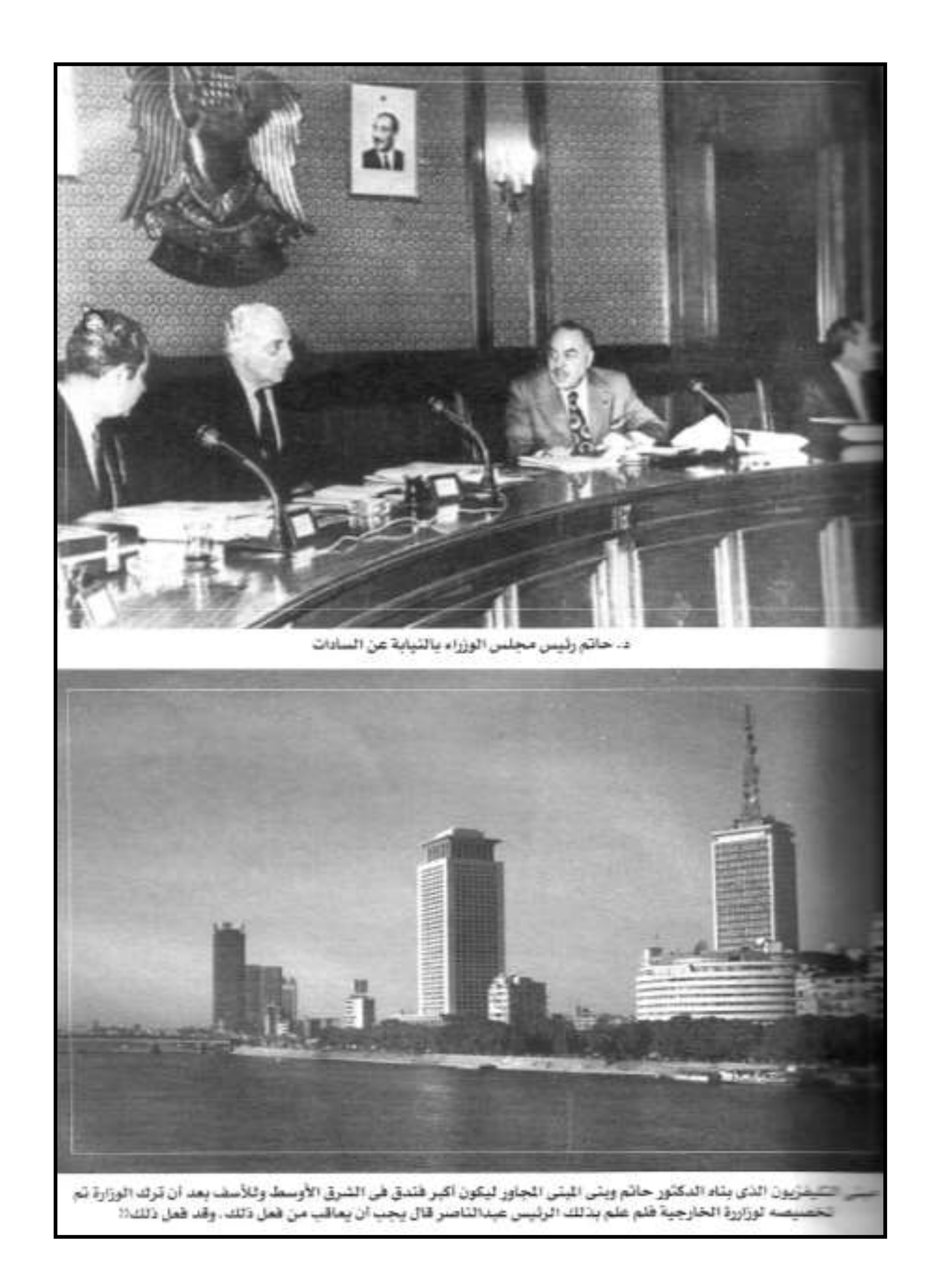
...منح دكتوراه فخرية لخمس علماء من العالم اختارهم ديجول منهم د.حاتم من جامعة اكس دى بروفانس التى ... أقدم جامعة فى فرنسا وقال د. طه حسين عميد الأدب العربى أن اختيار مصرى عالم مثقف د. حاتم بعدد للحصول على الدكتوراه الفخرية ضمن ٤ علماء فى العالم هو فخر له ولهو خبر سعيد لمصر



دكتور محمد عبدالقادر حاتم خلال لقائه مع رئيس الوزراء اليابانى الأسبق مستر فوكودا فى طوكيو



د. عبدالقادر حاتم مع وزيرة الحربية اليابانية التى تعتبره الأب الروحى لها تزوره
فى البيت التى تربت فيه مع وفد يابانى كبير



د. حاتم رئيس مجلس الوزراء بالنيابة عن السادات

مبنى التليفزيون الذى بناه الدكتور حاتم وبنى المبنى المجاور ليكون أكبر فندق فى الشرق الأوسط وللأسف بعد أن ترك الوزارة تم تخصيصه لوزارة الخارجية فلم علم بذلك الرئيس عبدالناصر قال يجب أن يعاقب من فعل ذلك. وقد فعل ذلك!!



المستر ماكملان رئيس وزراء بريطانيا بعد حرب العدوان الثلاثي عام ٥٦ وقد توطدت العلاقة بينهما
في زيارته لمنزل الدكتور حاتم بالقاهرة. وجميع مؤلفات د. حاتم باللغة الإنجليزية تطبع في دار نشر أحفاد ماكملان



د. حاتم مع الرئيس الأمريكى جيمى كارتر





حينما دخل الرئيس السادات الى المنصة فى يوم اغتياله . قبل د.حاتم قبل الاغتيال بساعتين

صورة: من الغردقة، التى انشأها الدكتور حاتم الأب الروحي للسياحة وهوجم إعلامياً على إنشائها وهى فى الصحراء وكانت منطقة البحر الأحمر كلها جرداء وكذلك منطقة الساحل الشمالى وسيدى عبدالرحمن


طبوعات الجمعية المصرية للعلوم السياسية «كتاب »
دور الإعلام المصرى فى تحقيق
المفاجأة الاستراتيجية
فى حرب أكتوبر ١٩٧٣
بقلم: د . محمد عبد القادر حاتم

سنة ١٩٤٩

خواطر اقتصادية

وحدة نقدية عربية
ابدأوا يا عرب .. بالاقتصاد قبل السياسة ؟

بدأنا بالجامعة العربية .. وتشكلت عام ١٩٤٥ من خمس دول مصر وسوريا والاردن ولبنان والعراق .. وقالوا ان انجلترا هي وراء انشاء هذه الجامعة ، ولكن الخطوة الاساسية التي نراها هي ان نبدأ فورا بالخطوة الاقتصادية .. وإذ كانت اتفاقية بريتون وودز للنقد .. تضع الخطوط لعملة نقدية عالمية .. فما احوجنا نحن في الجامعة لنسير في خطوات علمية متأنية من أجل انشاء وحدة نقدية عربية .. تأخذ سنين للدراسة حتى يتم تنفيذها .. ولكن المهم ان تتفق هذه الدول العربية على ان تبدأ .

وفي رأيي ان هذه العملية وقد يطلق عليها (الدينار العربي) لا تعني ولا تلغي العملة المحلية .. إلا بعد ان تستقر هذه العملة الموحدة بعد عدة سنوات ويلزم ان تنشأ هيئة خاصة بالدينار العربي تتبع الخطوات لتنمية ويكون الدينار العربي مكون لسلة من العملات العربية بحيث يكون اي ارتفاع في قيمة بعض العملات متعادل مع الانخفاض في عملات السلة الاخرى .

ويمكن لهذا البنك ان يحل عمليات المقاصة الخاصة بالدينار العربي مع العملات التي تتكون من الدينار العربي وسيكون (الدينار العربي) وحدة عملة للاستثمار وكذلك يمكن استخدامه في العمليات التجارية .. وكذلك كعملة للخدمات وكشهادات ايداع ... الى ان يصبح عملة موحدة بعد ذلك للتعامل بين الدول العربية اعضاء الجامعة العربية .. لتحقيق السيولة في انتقال رؤوس الاموال العربية والاستثمار العربي والشركات المشتركة والشركات المتكاملة من أجل الوحدة الاقتصادية العربية في المستقبل ان هذه العملة الموحدة للنقد - ستمنع أي خلافات اقتصادية في المستقبل بل ان أي خلافات سياسية بين الدول العربية سيعمل على حلها قبل وقوعها .. لان هناك ارتباطات نقدية بين الدول العربية ستحسب حسابها في كل خلاف يحدث .

ان الاقتصاد العربي هو أول الطريق .

عبد القادر حاتم
دبلوم العلوم الاقتصادية والسياسية من
[illegible]

ملاحظة : قدمت مشروع باللغة الإنجليزية لمؤتمر (النقد العالمي بريتون وودز) بإنشاء الدينار العربي (وحدة النقد العربي) وصورة منه للجامعة العربية عام ١٩٥٠ - ولكنه لم يتم شيئاً .

خواطر اقتصادية

متوسط دخل الفرد في كل من مصر واليابان
١٠٠ دولار سنويا

متوسط دخل الفرد في كل من مصر واليابان هو ١٠٠ دولار في عام ١٩٤٩ واليابان مضى عليها من عام ١٩٤٥ حتى ١٩٤٩ اى بعد ضرب مدينتي هيروشيما وناكازاكي بأربعة سنوات ، وكانت كل المرافق والمساكن والمصانع دمرت نهائيا .. ومع ذلك أمكنها أن تتحرك ويصل الي متوسط دخل الفرد في اليابان مماثل لما هو عليه في مصر .. بينما مصر لم تدمر مرافقها مثل ما حدث في اليابان .

أخشى ما أخشاه .. أن يكون متوسط دخل الفرد في اليابان .. يزيد بمعدل مرتفع في السنوات القادمة .. ويتحرك متوسط دخل الفرد في مصر تحركا بطيئا .. أو يكون " محلك سر " حسب الاصطلاح العسكري .

نقول أن التطور الطبيعي في أي دولة والتقدم الاقتصادي يقوم به أفراد الشعب ولا يمكن لامة ان تتقدم الا بمساعدة ابنائها .. ولذلك فان الخلافات السياسية الحزبية المستمرة ، وكذلك ما حدث من أرهاب .. وقتل بعض المسئولين لا يشجع على حالة الاستقرار الاقتصادي .. وهناك مقولة ... ان الارهاب ضد الارهاب لا يعتبر إرهاب .. أي انها سلسلة لا تنتهي وحلقات ليس لها أول ولا آخر .

من أجل تقدم مصر اقتصاديا واجتماعيا يلزم العمل بصفة دائمة لتحقيق الاستقرار وتشجيع الاستثمار والاعتماد على أبناء البلد

واذ كنا قد ضربنا المثل باليابان .. فانها قد اغرقت الشرق كله بالحرير الطبيعي قبل الحرب .. وتقدمت بعد ذلك بعد الحرب بخطوات إقتصادية حتى وصل دخل الفرد الى ١٠٠٠ دولار مثل مصر .

ولذا يجب تدعيم الجهاز المصرفي وخصوصا بنك مصر دعامة الاقتصاد الوطني ولزم انشاء بنك مركزي وهو ما يطلق عليه بنك البنوك .. كما يجب تعديل اتفاقية شركة قناة السويس فهي دولة داخل الدولة .. وهي مصرية وان كان اسمها التجاري عالميا .. ويلزم خفض الانفاق الحكومي .. ومنع سيطرة القلة القليلة على تجارة القطن

كل هذه الامور ضرورية مع النظر للحالة الاجتماعية لمعالجة البطالة التي تفشت .. والامية التي انتشرت .

و إذا كان اللورد بيفردج قد وضع تقريره المشهور بعد الحرب العالمية الثانيه في انجلترا وقال .. الجهل والفقر والمرض كل منها سبب ونتيجة .. فإن هذا التقرير ينطبق على مصر .. ويجب ان يكون العلاج للثالوث كله .

عبد القادر [illegible]

دبلوم في العلوم الاقتصادية والسياسية

[illegible]

خواطر اقتصادية

حقائق عن
اقتصـــــاد الســـــوق

يظن البعض انه طالما أن الدولة تتبع اقتصاد السوق فيجب ترك الامور تسير كما يهيء تطبيقاً لمبدأ Laissez Faire Laissez Passez، دعه يعمل دعه يمر – فاقتصاد السوق فى ظنهم هو ترك الحرية للافراد لكي ينطلقوا بلا حدود ولا تنظيم .

هذا الفكر خاطئ تماماً .. لان الدولة فى إقتصـاد السوق لابد وان تكون قوية حتى تضع سياسات وضوابط وقواعد عامة للسوق وإطاراً للاقتصاد ، كما أن دور الدولة يجب ان يكون قويا فى تنفيذ القوانين ، إذ لا يمكن للسوق أن يتقدم إلا فى ظل دولة قوية تحقق الاستتباب الأمني والاستقرار للقوانين .

وهناك من يردد ما يقوله بعض رجال الاعمال ان الحكومة في ظل الاقتصاد الحر كمجلس الادارة لمؤسسة ما وأن الشعب هو الجمعية العمومية - وعلى مجلس الادارة تنفيذ ما تطلبه الجمعية العمومية كما أن الجمعية العمومية عليها مراقبة مجلس الادارة ، وهذا القول هو اقرب الي الواقع ، ذلك لان الموظـف فـي النظـام الاشتراكـى أو الشيـوعى هـو السيـد فـى الخدمـة المدنيـة Civil Master اما الموظف فى نظام الاقتصـاد الحـر فهو خادم الشعب Civil Servant ولذلك يجب ان تعمل الدولة فى ظل نظام الاقتصـاد الحر على إيجاد الموظف الذى يصلح لان يكون خادماً للشعب .

وأتذكـر بهـذه المناسـبة ان رئيس جمهورية فرنسا عندما طلب من المسيو كليمنصو الحضـور لمقابلته ودار بينهما الحديـث على النحو التالي : رئيس الجمهورية : أظنك تعرف يا سيد كليمنصو أنني اكرهك ؟ ! كليمنصـو : وأظنك تعرف ايضا يا سيدى إنني ابادلك نفس الشعور ؟ !
فقال رئيس الجمهوريـة و لكن فرنسا في حاجة إلى كليمنصو ليكون رئيسا لوزراء فرنسا فقال كليمنصو ..... يا سيدي إنني خادم فرنسا هذه العبارة مكتوبة على قبر رئيس جمهورية فرنسا في عام ١٩١٧ في مقبرة الخالدين و تبين أهمية تعيين الكفء ذو الخبرة رئيسا للوزراء بالرغم من كراهية رئيس الجمهورية له و كذلك أصدرت فرنسا جنيها ذهبيا بأسم رئيس الجمهورية تخليدا لذكراه

خواطر اقتصادية

حقائق عن

اقتصـــاد الســـوق

يظن البعض أنه طالما أن الدولة تتبع اقتصاد السوق فيجب ترك الامور تسير كما تشاء تطبيقاً لمبدأ Laissez Faire Laissez Passez ، دعه يعمل دعه يمر - فاقتصاد السوق فى ظنهم هو ترك الحرية للافراد لكى ينطلقوا بلا حدود ولا تنظيم .

هذا الفكر خاطىء تماماً .. لان الدولة فى إقتصاد السوق لابد وأن تكون قوية حتى تضع سياسات وضوابط وقواعد عامة للسوق واطاراً للاقتصاد ، كما أن دور الدولة يجب ان يكون قويا فى تنفيذ القوانين ، إذ لا يمكن للسوق أن يتقدم إلا فى ظل دولة قوية تحقق الاستتباب للامن والاستقرار للقوانين.

وهناك من يردد ما يقوله بعض رجال الاعمال ان الحكومة فى ظل الاقتصاد الحر كمجلس الادارة لمؤسسة ما وأن الشعب هو الجمعية العمومية . وعلى مجلس الادارة تنفيذ ما تطلبه الجمعية العمومية كما أن الجمعية العمومية عليها مراقبة مجلس الادارة ، وهذا القول هو اقرب الى الواقع ، ذلك لان الموظف فى النظام الاشتراكى أو الشيوعى هو السيد فى الخدمة المدنية Civil Master اما الموظف فى نظام الاقتصاد الحر فهو خادم الشعب Civil Servant ولذلك يجب ان تعمل الدولة فى ظل نظام الاقتصاد الحر على إيجاد الموظف الذى يصلح لان يكون خادماً للشعب .

وأتذكر بهذه المناسبة ان رئيس جمهورية فرنسا عندما طلب من المسيو كليمنصو الحضور لمقابلته ودار بينهما الحديث على النحو التالى : رئيس الجمهورية : أظنك تعرف يا سيد كليمنصو اننى اكرهك ؟ ! كليمنصو : وأظنك تعرف ايضا يا سيدى إننى ابادلك نفس الشعور ؟ !

فقال رئيس الجمهورية و لكن فرنسا في حاجة إلى كليمنصو ليكون رئيسا لوزراء فرنسا فقال كليمنصو ..... يا سيدي إنني خادم فرنسا هذه العبارة مكتوبة على قبر رئيس جمهورية فرنسا في عام ١٩١٧ في مقبرة الخالدين و تبين أهمية تعيين الكفء ذو الخبرة رئيسا للوزراء بالرغم من كراهية رئيس الجمهورية له و كذلك أصدرت فرنسا جنيها ذهبيا بأسم رئيس الجمهورية تخليدا لذكراه

١٩٤٩ ٥

خواطر اقتصادية

اقتصاديات جحا وضرائب الحكومة

—

يبدو أن الحكومة تتبع اقتصاديات جحا .. فالحكومة تفرض كل فترة ضريبة جديدة .. ضرائب مباشرة وغير مباشرة .. أنواع وأشكال وكل يوم تتفنن بزيادة الضرائب وهدفها هو ايرادات كثيرة للميزانية .

وكل يوم يئن المواطن — الموظف والتاجر وأرباب المعاشات من هذه الزيادات المتواليه فى الضرائب .

ويحكي أن جحا أراد أن يزيد من دخله على حساب حماره ... فقد قالوا لجحا ان الحمار يلزمه ٣٦٥ حبة ذرة يوميا – فلجأ جحا الى فكرة فى رأية انها ستزيد دخله على حساب حماره .. وقال ماذا لو اقتطعت من أكل حماره حبة ذرة كل يوم إنها لن تصيبه بضرر – فبدأ ينفذ هذه الفكرة قائلا انها " اختراع اقتصادى لؤلفه العالم جحا " .. واستمر جحا فى انتقاص حبة ذره كل يوم. اليوم الاول ٣٦٥ حبه ثم فى اليوم الثانى ٣٦٤ ثم ٣٦٣ .. ولكن فى اليوم ٣٦٤ مات

حمار جحا .. نتيجة اقتصاديات جحا ..

نقول هذه القصة .. لتعلم الحكومة ان المواطن سواء كان فى مؤسسة أو شركة أو تاجر أو موظف .. ستكون نهايته بعد مدة من فرض هذه الضرائب عليه وبسبب الاعتقاد الخاطىء الاقتصادى بزيادة موارد الدولة .. انه ستكثر حالات اشهار الافلاس ويقلل دخل الدولة نتيجة هذه السياسة الخاطئة بفرض الضرائب على المواطنين (عمال على بطال) لا نسأل الله رد القضاء ولكن نسأله اللطف فيه !!

عبد القادر حاتم
دبلوم العلوم الاقتصادية والسياسية
من لندن

خواطر اقتصادية

انها لخطوة موفقة تلك التى قامت بها الحكومة فى سبيل التعاون المالى والاقتصادى بين مصر والملكة السعودية فمصر فى حاجه الى الدولار والحجاز فى حاجة الى الانتاج المصرى ، والمال والاقتصاد لا يعرف العواطف لانه قائم على لغة الارقام .

لذلك يجب أن تضع سياسة مصر الاقتصادية نحو الدول العربية بالمنطق الاقتصادى الحديث - فلا نجامل ولا نعطى الا لنأخذ .

والحجاز منطقة خصبة للاستغلال .. ومصر يمكنها ان تستثمر رؤوس الاموال فى هذه المنطقة الاقتصادية ، خاصة وان ملايين الجنيهات تخرج من مصر الى الحجاز فى موسم الحج ويمكن للحجاز شراء جميع احتياجاتها من مصر بهذه الملايين المصرية .

واذا كان التعاون السياسى والحربى قد سبق التعاون الاقتصادى بين مصر والحجاز بعكس ما يحدث دائما بين الدول ، فإن هذا لدليل قاطع على أن التعاون الاقتصادى بين البلدين وثيق النجاح .

فلنفكر فى رفع الحواجز الجمركية وانشاء مؤسسة النقد تنظم النقدين وتربطهما .. ولنذكر أن جميع وفود الحجاج الى الحجاز تشكو من أن المرافق العامة فى هذه البلاد فى حاجة ماسة الى الانشاء والتعمير والاصلاح فالانارة معدومة والشوارع غيـــر مرصوفة والمياه غير نقية .. فهل هناك دوله أولى من مصر للقيام بهذه المشروعات الانشائية حفظا للرابطة الاقتصادية العربية وباسم آلاف الحجاج المصرية للمحافظة على حياتهم وفى الوقت نفسه كوسيلة للحصول على الدولار ؟ .

وفى الوقت نفسه فإن من حق الحجاز على مصر أن تمدها بالمنسوجات الشعبية الرخيصة الاثمان وبالمنتجات الزراعية التى تفتقر اليها وبالخبراء الفنيين والعلماء المصريين .. وان رباط الارقام والاموال أقوى من رباط الالفاظ الجوفاء ونأمل ان نرى اليوم عقودا تجارية ومعاهدات نقدية ومواثيق اقتصادية مستديمة توقع بين البلدين الشقيقين لتدعيم الاقتصاديات العربية فى هذه المنطقة من الشرق الاوسط نتيجة لزيارة وزير المالية المصرى لزميله وزير المالية السعودى .. واننا لناظرون ومنتظرون .

جميع الشواهد الاقتصادية تقر بأن مصر ترحب كل الترحيب باستخدام رؤوس الاموال الاجنبية فى مصر وتشجع جميع الشركات سواء منها الاجنبية أو المصرية على أن تخضع لقانون الشركات الذى أصدرته الحكومة المصرية والبرلمان المصرى .

ومع ذلك فكل مصرى يسأل اليوم لماذا نجامل شركة قناة السويس هذه المجاملة الاقتصادية التى ستكلف مصر الملايين من الجنيهات ؟

ان مصر فى حاجة الى الكثير من العملات الصعبة وهذه الشركة يجب أن نعتبرها ممولا رئيسيا لخزينة البلاد وإنى لاهمس فى أذن المسئولين بألا يصدقوا ما يقال بأن مصر بموافقتها على اتفاقية قناة السويس ستقدم لفرنسا وبعض الدول الدليل على حسن نية مصر نحو هذه الدول ، خاصة واننا لم نجد من فرنسا او من غيرها أى دليل لحسن نيتها نحونا .

يجب ان تكون القناة لمصر وليست مصر للقناة .

عبد القادر حاتم

دبلوم فى العلوم الاقتصادية والسياسية

من لندن



معرض في الخضروات ، ! !

* أليس من العجيب أن نقول حتى الآن : ان مصر بلد زراعي !!

اننا نستورد سنويا حاصلات ومنتجات زراعية بعشرة ملايين من الجنيهات وفي مصر أرض خصبة قابلة للزراعة في كل فصول السنة وماء متوفر ، وأياد عاملة كثيرة العدد ولكنها عاطلة ، ورؤوس أموال تفوق الحصر ولكنها غير مستثمرة !

لماذا اذن نحزن عندما يقال عنا اننا قوم كسالى لا نساير العصر والزمن !!

* ونقول : اننا دولة ذات سيادة ، وليست لنا السيادة على نقدنا ! فغطاء النقد المصري هو سندات على الخزانة البريطانية .

الا يدعونا هذا لان ننشيء بنكا مركزيا لتكون لنا السيطرة على نقد البلاد الذي هو اساس الاستقلال المالي والاقتصادي ؟!

* أهمس في آذان أولئك الذين أكثروا من التصريحات في شئون التموين الا يزيدوها !! لان اصلاح التموين ومكافحة الغلاء ينبغي أن تقوم على النظريات والمبادئ الاقتصادية لا على بلاغة سحبان وبيان ابن المقفع !!!

فالسير " ستافورد كريبس " حينما أراد لانجلترا أن تسترد مركزها الاقتصادي اتبع مبدأ اقتصاديا ، هو زيادة الانتاج للتصدير مع تحديد الاستهلاك والواردات ، وفي أمريكا رفعت ضريبة الانتاج على الاستهلاك المحلي ، مع تخفيضها على الصادرات حتى يقل الاستهلاك الداخلي ويزداد الانتاج للتصدير مع خفض الثمن في الاسواق العالمية .

أما في مصر فالارتجال قد أصاب اقتصادنا بفوضى ليس لها نظير !!

" عبد القادر حاتم "

دبلوم في العلوم الاقتصادية والسياسية من لندن

خواطر اقتصادية

انها لخطوة موفقة تلك التي قامت بها الحكومة في سبيل التعاون المالي والاقتصادي بين مصر والمملكة السعودية فمصر في حاجة الى الدولار والحجاز في حاجة الى الانتاج المصري ، والمال والاقتصاد لا يعرف العواطف لانه قائم على لغة الارقام .

لذلك يجب أن تضع سياسة مصر الاقتصادية نحو الدول العربية بالمنطق الاقتصادي الحديث – فلا نجامل ولا نعطي الا لنأخذ .

والحجاز منطقة خصبة للاستغلال .. ومصر يمكنها أن تستثمر رؤوس الاموال في هذه المنطقة الاقتصادية ، خاصة وان ملايين الجنيهات تخرج من مصر الى الحجاز في موسم الحج ويمكن للحجاز شراء جميع احتياجاتها من مصر بهذه الملايين المصرية .

واذا كان التعاون السياسي والحربي قد سبق التعاون الاقتصادي بين مصر والحجاز بعكس ما يحدث دائما بين الدول ، فإن هذا لدليل قاطع على أن التعاون الاقتصادي بين البلدين وثيق النجاح .

فلنفكر في رفع الحواجز الجمركية وانشاء مؤسسة النقد تنظم النقدين وتربطهما .. ولنذكر أن جميع وفود الحجاج الى الحجاز تشكو من أن المرافق العامة في هذه البلاد في حاجة ماسة الى الانشاء والتعمير والاصلاح فالانارة معدومة والشوارع غيـــر مرصوفة والمياه غير نقية .. فهل هناك دولة أولى من مصر للقيام بهذه المشروعات الانشائية حفظا للرابطة الاقتصادية العربية وباسم آلاف الحجاج المصرية للمحافظة على حياتهم وفي الوقت نفسه كوسيلة للحصول على الدولار ؟ .

وفي الوقت نفسه فإن من حق الحجاز على مصر أن تمدها بالمنسوجات الشعبية الرخيصة الاثمان وبالمنتجات الزراعية التي تفتقر اليها وبالخبراء الفنيين والعلماء المصريين .. وان رباط الارقام والاموال أقوى من رباط الالفاظ الجوفاء ونأمل أن نرى اليوم عقودا تجارية ومعاهدات نقدية ومواثيق اقتصادية مستديمة توقع بين البلدين الشقيقين لتدعيم الاقتصاديات العربية في هذه المنطقة من الشرق الاوسط نتيجة لزيارة وزير المالية المصري لزميله وزير المالية السعودي .. واننا لناظرون ومنتظرون .

جميع الشواهد الاقتصادية تقر بأن مصر ترحب كل الترحيب باستخدام رؤوس الاموال الاجنبية في مصر وتشجع جميع الشركات سواء منها الاجنبية أو المصرية على أن تخضع لقانون الشركات الذي اصدرته الحكومة المصرية والبرلمان المصري .

ومع ذلك فكل مصري يسأل اليوم لماذا نجامل شركة قناة السويس هذه المجاملة الاقتصادية التي ستكلف مصر الملايين من الجنيهات ؟

ان مصر في حاجة الى الكثير من العملات الصعبة وهذه الشركة يجب أن نعتبرها ممولا رئيسيا لخزينة البلاد وانى لاهمس في أذن المسئولين بألا يصدقوا ما يقال بأن مصر بموافقتها على اتفاقية قناة السويس ستقدم لفرنسا وبعض الدول الدليل على حسن نية مصر نحو هذه الدول ، خاصة واننا لم نجد من فرنسا او من غيرها اى دليل لحسن نيتها نحونا .

يجب أن تكون القناة لمصر وليست مصر للقناة .

عبد القادر حاتم
دبلوم في العلوم الاقتصادية والسياسية
من لندن

اقترحت انشاء (البنك العربي) عام ١٩٥٤ وهو يتفق مع مشروع النقد لبريتون وودز


جريدة الفجر ٢٦/١١/٢٠٠٩



فهرس الكتاب